جامعـة مؤتة
عمادة الدراسات العليـا

تأثير نظرية المحافظين الجدد على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر2001

إعـداد الطـالب
خالـد سليمـان عطا الله القطاميـن

إشراف
الدكتـور مخلـد عبيد المبيضين

رسالـة مقدمـة إلـى عمادة الدراسات العليـــا
استكمالاً لمتطلبات الحصـول علـــى درجـــــة
الماجستيـر في العلاقات الدولية قسم العلوم السياسية

جامعة مؤتة، 2007م

الإهــــداء

إلى أبي وأمي ظلا في هجير العمر.

إلى زوجتي الغالية وقصي وفرات وعدي معتذرا عن انشغالي وبعدي.

وإلى أخوتي جميعا أهدي هذا العمل.

خالد سليمان القطامين

الشـكر والتقـدير

أتوجه بالشكر والتقدير وعظيم الامتنان لأستاذي الفاضل الدكتور مخلد عبيد المبيضين، وذلك لتفضله بالإشراف على هذه الدراسة، ولتوجيهاتـه وصـبره، الأمر الذي كان له الدور الكبير في خروج هذه الدراسة إلى النور.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى أساتذتي الأفاضل في قسم العلوم الـسياسية فـي جامعة مؤته.

والى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة، الدكتور أحمد البرصـان، والـدكتور احمود أبو سليم، والدكتور مازن العقيلي الذين ستكون لملاحظاتهم كل العنايـة والاهتمام.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني أثناء عناء البحث والكتابة، في جامعة الحسين بن طلال.

خالد سليمان القطامين

فهرس المحتويات

قائمة الملاحق

الملخص

تأثير نظريـة المحافظين الجدد على توجهات السياسـة الخارجيـة الأمريكية عقب أحداث 11 سبتمبر 2001

خالد سليمان القطاميـن

جامعة مؤتـه2007

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح الأثـر الكبيـر الـذي تركتـه نظريـة المحافظين الجدد على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر2001، كما تهدف إلى الكشف عن ماهية نظرية المحـافظين الجدد و جذورها وارتباطاتها الفكرية والمؤسسية داخـل المجتمـع الأمريكـي وعلاقات المحافظون الجدد بالجناح المحافظ الـديني (الأصـولية المـسيحية)، وشبكة العلاقات التي تربط هذين الجناحين بالصهيونية وإسرائيل، وتأثير ذلـك كله على السياسة الخارجية الأمريكية.

وباستخدام المنهجين الوصفي والمنهج التحليلي، فقد بينت الدراسـة أنـه نتيجة لتأثير المحافظين الجدد فقد تحولت السياسة الخارجيـة الأمريكيـة مـن الواقعية إلى الإمبراطورية الراديكالية غير العابئة بالقانون الدولي والـشرعية الدولية وغير المترددة في استخدام القوة وإسقاط الأنظمة في رؤية جديدة لكيفية تحقيق مصالحها، وذلك عبر سلوك إمبراطوري يعتمد علـى اسـتخدام القـوة (الصلبة) وخصوصاً في منطقـة الشرق الأوسط، وضمن إطـار إيـديولوجي يعكس رؤيـة المحافظين الجدد لعالم ما بعد الحرب البـاردة، والتـي تمثلـت بمفاهيم الفوضى البناءة، والحروب الإستباقية، وتعميم الديمقراطيـة. وقد كان التطبيق الفعلي لنظرية المحافظين الجدد في العراق حيث ما تـزال الـسياسة الأمريكية تتخبط هناك. وتدل المؤشرات الحالية على احتمالية ضـعف تـأثير المحافظين الجدد على السياسة الخارجيـة الأمريكيـة، وذلـك بعـد سـيطرة الديمقراطيين على الكونغرس وطلب الأخير من الرئيس إعلان جدول زمنـي لانسحاب القوات الأمريكية من العراق.

Abstract

The Influence of the Neo-Conservatives' Theory on the Orientations of The American Foreign Policy post September 11th Events

Khalid S. Qatamin

Mu'tah University 2007

This study aims to clarify the great impact of the Neo-conservatives on the orientations of the American foreign policy post September 11th events. It also aims to discover the essence of the Neo-Conservatives' theory roots, its intellectual and institutional connections within the American community, the Neo-Conservatives relations with conservative religious wing (Christian Fundamentalists) the networking between these two wings with Zionism and Israel, and the overall effect of this on the American foreign policy.

By using both descriptive and analytical methods, the study shows that the influence of the Neo-Conservatives' theory on the orientations of the American foreign policy was shifted from realistic to radical Empire paying no attention to the International Law or International legitimacy, unhesitant to use force to topple regimes employing new vision in achieving its national interest through imperial conduct based on the use of force, especially in the Middle East region, within ideological framework which reflects the Neo-Conservatives' vision in the post cold war world, which include concepts such as constructive chaos, preemptive strikes and dissemination of democracy. The actual application of the Neo-Conservatives' theory was in Iraq where the American policy is confused and unsteady. The new developments indicate the decreasing effect of the Neo-Conservatives on the American foreign policy after the Democrats control of the Congress and asking the US president to reschedule the withdrawal of the American troops from Iraq.

التعريفات الإجرائية

1- **الصهيونية المسيحية**: هي التيار المسيحي الذي آمن بحق عودة اليهود إلى أرض الميعاد (أي فلسطين)، ومحاولة دعم هذا الحق بكل السبل المادية والمعنوية، كما تعرف بأنها حركة قومية تعمل من أجل عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين وسيادة اليهود على الأرض، وتعود جذور هذه الحركة إلى تغلغل الديانة اليهودية ومعتقداتها مع بداية هجرة الأوروبيين إلى الولايات المتحدة منذ القرن السابع العشر، حيث حمل هؤلاء المهاجرون معهم التقاليد والقنا عات التوراتية وتفسيرات العهد القديم التي انتشرت في أوروبا، وتحديدا في إنكلترا في القرن السادس عشر(مبيضين وتيم، 2004).

2- **المستودعات الفكرية**: هي مؤسسات ضخمة تعنى بالفكر الاستراتيجي، وبتحويله إلى خطط وخرائط وبرامج وأولويات يطلق عليها Think Tanks أي مستودعات الفكر، وهذه التسمية تمزج الفكر بفلسفة القوة و تعبر عن التحالف بين الفكر والسلاح في الولايات المتحدة. وهذه المؤسسات الاستراتيجية وبيوت الخبرة السياسية تمثل قوة ضاغطة فاعلة ، وهي تتمول وتتمتع بميزانيات ضخمة من كبريات الشركات الأميركية ،مثل مؤسسة التراث ومركز مانهاتن للدراسات ومركز هوفر ومؤسسة المشاريع الأميركيةAEI، والمؤسسة اليهودية لشؤون الأمن القوميJINSA، ومعهد بروكنغز Brooking وهذه المؤسسات هي صانعة رؤساء الجمهوريات وواضعة البرامج والسياسات لكل الإدارات المتعاقبة، وخلافها هو تعبير مباشر عن خلاف المصالح التي يعبر كل منها عنه، تبعاً للجهات الممولة. وهي ابنة التحالف الرأسمالي الصناعي – العسكري (عماد، 2004).

3- **بيرل هاربر**: هو ميناء في هاواي كانت ترسو فيه حاملات الطائرات الأمريكية وقطع بحرية أمريكية هاجمتها القوات اليابانية بصورة مباغتة ب 353 طائرة، في السابع من ديسمبر عام 1941، وهو حدث غير مجرى التاريخ، وأرغم الولايات المتحدة على دخول الحرب العالمية الثانية، وأسفر عن مقتل 2403 من الجنود

الأمريكيين و 68 من المدنيين وإغراق أو أتلاف 19 سفينة وبارجة حربية و تدمير 188 طائرة (الموسوعة الحرة، 2007).

4- **مشروع القرن الأمريكـي الجديـد** The New American Century هـو المشروع الذي بدأه الجيل الثاني من المحافظين الجدد عـام 1997، ويهـدف هـذا المشروع إلى إحياء الإمبراطورية الأمريكية، وتحقيق الزعامة الأمريكية، وعني هذا المشروع ببناء الأسس والأعمدة الفكرية للإمبراطورية الأمريكية الاستعمارية، بدءاً من مرتكزاتها الأساسية في أهم المناطق النفطية في العالم.. وضمن هذا المـشروع جاء الإعلان الأمريكي، حول أهمية إعادة صياغة "منطقة الشرق الأوسط" سياسـياً وجغرافياً، وضمن هذا المـشروع أيضاً تم التخطيط للسـيطرة على منابع النفط في "الشرق الأوسـط" وفي الجمهوريات الإسلامية المطلة على بحر قزوين (رجب، 2004).

لفصل الأول

خلفية الدراسة ومشكلتها

1.1 المقدمة:

لقد شهدت السياسة الخارجية الأمريكية والفكر الاستراتيجي الأمريكي بوجه عام، تحولا جذريا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 مباشرة وبصورة مفاجئة. فقد وقعت هذه الأحداث بعد عدة شهور فقط من تسلم الـرئيس جـورج دبليو بوش سدة الحكم في البيت الأبيض محاطا بعدد من أهم رموز المحـافظين الجدد الذين تقلدوا مناصب رفيعة في مؤسسات الرئاسـة والخارجيـة والـدفاع، وكانت لحظة وقوع هذه الأحداث هي التي أظهرت عمق تـأثير هـؤلاء علـى السياسة الخارجية الأمريكية، وقدرتهم على صياغة أولوياتها وتوجهاتها.

وقد تميزت إدارة الرئيس بوش الابن بوجود تحالف غير مسبوق في التاريخ الأمريكي يجمع بين الجمهوريين وأتباع الفكر المحافظ وأنصار اليمين المـسيحي المتطرف والمحافظين الجدد الذين يختلفون عـن اليمـين المحـافظ الـديني أو الصهيونية المسيحية أو الأصولية المسيحية أو الإنجيلية، حيث كان المحـافظون الجدد هم الأكثر تعبيرا بين هؤلاء عن طموحاتهم الإمبريالية وعدم التـردد فـي استخدام القوة وعن حاجتهم إلى "بيرل هاربر" جديدة تمكنهم من إعـادة صـياغة السياسة الخارجية الأمريكية، بما يتلاءم مع طموحهم بإمبراطورية أمريكية تهيمن على العالم، وتمنع قيام أية قوة منافسة لها من خلال استخدام القوة والدبلوماسـية القسرية أو استراتيجية القهر واستراتيجية الحرب الوقائية والتدخل في المنـاطق الساخنة وتأمين منابع النفط، وفرض النموذج الأمريكي. وهو مـا عبـر عنـه بمشروع المحافظين الجدد "مشروع القرن الأمريكي الجديد PNAC . فالوثـائق التي أعدها المحافظون الجدد اعتمدت فيما بعد كأساس نظري للسياسة الخارجيـة الأمريكية في عالم ما بعد 11 سبتمبر، مثل وثيقة "مرشد التخطيط لشؤون الدفاع" Defense Planning Guidance، ووثيقـة "إسـتراتيجية الأمـن القـومي الأمريكي" وغيرهما من الوثائق التي تم إعدادها وصياغتها في العديد من معاهـد ومراكز البحوث والدراسات التي يسيطرون عليها مثل معهد أميريكان إنتربرايز

والمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، والمعهد الأمريكي للمشاريع American Enterprise وغيرها. وبذلك تشكلت لهم نظرية خاصة كان لها تأثير واضح على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية عقب أحداث 11 سبتمبر 2001.

2.1 أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح الأثر الهائل الذي تركته نظرية الفكر المحافظ بشقيه الديني والسياسي على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر2001 عندما تحولت هذه السياسة من الواقعية إلى الراديكالية الإمبراطورية غير العابئة بالقانون الدولي والشرعية الدولية وغير المترددة في استخدام القوة وإسقاط الأنظمة في رؤية جديدة لكيفية تحقيق مصالحها. كما تهدف الدراسة إلى الكشف عن ماهية نظرية المحافظين الجدد و جذورها وارتباطاتها الفكرية و المؤسسية داخل المجتمع الأمريكي، وعلاقات الجناح المحافظ العلماني (المحافظون الجدد) بالجناح المحافظ الديني (الأصولية المسيحية)، وشبكة العلاقات التي تربط هذين الجناحين بالصهيونية وإسرائيل. كما تهدف الدراسة أيضا إلى إلقاء الضوء على أحداث الحادي عشر من سبتمبر2001، وهي الأحداث التي شكلت نقطة التحول الرئيسية في الفكر الاستراتيجي الأمريكي الحالي، وذلك لمعرفة أهمية وتأثير هذه الأحداث بالنسبة للمحافظين الجدد وكيفية استغلالهم لها.

3.1 أهمية الدراسة:

أ- أهمية الدراسة العملية:

تنبع أهمية هذه الدراسة من محاولة تتبع الأثر الكبير الذي أحدثته نظرية المحافظين الجدد ومقولاتهم عن الحرب الوقائية على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية، وبالتالي على نمط وطبيعة العلاقات الدولية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر2001، حيث تحولت السياسة الخارجية الأمريكية من سياسة واقعية إلى أخرى راديكالية يسيطر عليها مجموعة صغيرة من الأيديولوجيين، الذين يسعون إلى الهيمنة وبسط النفوذ في سلوك إمبراطوري لم تعهده السياسة

الأمريكية وباعتماد مبدأ الهجوم الاستباقي ، وعبر خطاب سياسـي إيـديولوجي جديد يرتكز على الفكر الديني المحافظ، مما أفرز خطورة جديـدة علـى تقاليـد السياسة الخارجية الأمريكية، وهي التداخل بين أبعاد القـوة العـسكرية وأبعـاد المنظومة القيمة.

كما تنبع أهمية هذه الدراسة من الإدراك بأن استراتيجيات الدول العظمى لا يمكن أن تتغير بين عشية وضحاها، لذا لا بد من محاولة فهم وتحليل عمق تأثير نظرية الجناح المحافظ بشقيه الديني والسياسي ومدى القدرة التي يتمتع بها فـي مجالات توجيه السياسة الخارجية وتحديد أهـدافها، وإعـادة صـياغة وترتيـب أولوياتها، ومدى قدرته أيضا على خلق المبررات التـي تـسوغ وتـؤطر هـذه السياسة، وبالتالي محاولة فهم ودراسة النظرية المؤدية إلى حدوث هذه التحولات الفكرية والاستراتيجية الكبرى في السياسة الخارجية الأمريكية، والتـي وصـفت بالثورية والراديكالية، بل وصل الوصف إلى حد القـول "باختطـاف" الـسياسة الخارجية الأمريكية، أو وصفها بأنها تعيش حالة من "الاضطراب العقلي". وتتميز هذه الدراسة عن غيرها بأنها من أوائل الدراسات التي تبحث أثر رؤية ونظريـة المحافظين الجدد على توجهات السياسة الخارجية لدولة طالمـا التزمـت بمبـدأ الواقعية بإعطاء مصالحها الكبرى الأولوية دون النظر إلى عقيدة أو أيديولوجيـة ما، وهذا التغيير هو الذي أدى إلى جنوح السياسة الأمريكية، والذي فسر من قبل الكثيرين بأنه ضد المصالح الأمريكية.

ب- أهمية الدراسة العلمية:

تنبع الأهمية العلمية لهذه الدراسة من سيطرة المحافظين الجدد على الـسياسة الأمريكية التي جنحت نحو تنفيذ مخططات المحافظين الجدد في منطقة الـشرق الأوسط، وخاصة فيما يتعلق بأمن إسرائيل والصراع العربي الإسرائيلي، كما تنبع من محاولة إضافة عنوان جديد يرفد المكتبات العربية المتخصصة في حقل العلوم السياسية والعلاقات الدولية، هذا العنوان يتعلق بموضوع الدراسة : تأثير نظريـة المحافظين الجدد على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية عقب أحداث الحادي

عشر من سبتمبر 2001، إضافة إلى السيناريوهات المستقبلية المتعلقة بهذا التأثير.

4.1 مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في محاولة التعرف على التأثير الذي تركته نظرية المحافظين الجدد وفكرهم على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية والفكر الاستراتيجي الأمريكي على وجه العموم، وذلك من خلال تحليل الأطر الفكرية التي شكلت هذه النظرية والكيفية التي أثرت بها على تحديد أهداف وتوجهات السياسة الخارجية الأمريكية في مرحلة ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001.

5.1 أسئلة الدراسة:

ستحاول الدراسة الإجابة على السؤال الرئيس التالي بالإضافة إلى عدد من الأسئلة الفرعية: **ما هو تأثير نظرية المحافظين الجدد على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 وخاصة في منطقة الشرق الأوسط؟**

أما **الأسئلة الفرعية**، فهي:

1-ما هي الجذور التاريخية للمحافظين الجدد وما هي نظرتهم الاستراتيجية ؟

2- ما هي أهم التغييرات التي طرأت على السياسة الأمريكية بعد وصول المحافظين الجدد إلى مراكز صنع القرار؟

3-كيف ساعدت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 على بلورة أفكار المحافظين الجدد ووضعها موضع التنفيذ الفعلي؟

4-كيف استطاعت نظرية المحافظين الجدد إدخال بعض المضامين والمفاهيم على السياسة الخارجية الأمريكية؟.

6.1 منهج الدراسة:

ستعتمد هذه الدراسة في تحليلها لنظرية المحافظين الجدد ومدى تأثيرهم على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية في عالم ما بعد أحداث الحادي عشر من

سبتمبر 2001 على المنهجين؛ المنهج الوصفي ومنهج تحليل المضمون، لأن هذه المناهج هي الأقرب إلى طبيعة الدراسة من حيث كونها تحاول رصد الاتجاهات الفكرية لدى مجموعة ناشطة امتد تأثيرها ليطال عملية صنع القـرار الخـارجي لدولة عظمى، وهو الأمر الذي أدى بدوره إلى حدوث تغيرات في طبيعة سياستها الخارجية نتيجة لأحداث هزت الكيان العام للدولة، مما يعنى الحاجة إلى تحليـل مجموعة الأفكار التي تعتنقها هذه المجموعة، كما يعني الحاجـة إلـى الوصـف والتحليل لربط عناصر ومتغيرات هذه الدراسة في محاولة لفهـم الكيفيـة التـي ارتبطت بها مع بعضها البعض، والكيفية التي تفاعلت بها لتحدث تـأثيرا علـى توجهات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث الحادي عـشر مـن سـبتمبر 2001.

7.1 الإطار النظري:

في البداية لا بد من تحديد المقصود بتوجهات السياسة الخارجية، حيث يقصد بتوجه السياسة الخارجية الطابع العام والخصائص الأساسية لسياسة الوحدة الدولية في فترة طويلة نسبيا، ومن أمثلة توجهات السياسة الخارجية: الانعزالية، التدخلية، وعدم الانحياز، ويمكن تمييز مجموعة من التصنيفات العامة لتوجهـات الـسياسة الخارجية منها: التوجه الإقليمي/العالمي، والتوجه الشرقي/الغربي، وتوجه إقرار أو تغيير العلاقات الدولية الراهنة، والتوجه ألتدخلي أو اللاتدخلي (سليم، 1989).

فالإطار النظري الذي يتعلق بهذه الدراسة الخاصة بتأثير نظرية المحافظين الجدد على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية عقب أحداث الحادي عـشر مـن سبتمبر عام 2001، سيعتمد على نظرية اتخاذ القرارات الخارجية، لأنها تتناسـب وطبيعة هذه الدراسة التي تحاول رصد التـأثير الفكـري والأيـديولوجي الـذي اصطبغت به السياسة الخارجية الأمريكية بعد وصول المحافظين الجدد إلى مراكز صنع القرار في الإدارة الأمريكية، ذلك أن هذه النظرية تختص بالإطار الفكـري Conceptual Framework الذي يوفر الأداة التي يمكن بواسطتها التعرف على مختلف العوامل والمتغيرات التي تساهم في صـنع الـسياسة الخارجيـة (مقلـد، 1982).

تعرف نظرية اتخاذ القرارات الخارجية بالنظرية التي تبحث في العوامل المؤثرة على صنع السياسة الخارجية عبر تحليل عناصر البيئة الداخلية، ومنها تلك المتعلقة بالبيئة السيكولوجية لصناع القرار، والتي تتحدد معالمها في نطاق الاتجاهات والتصورات والقيم والمعتقدات والتحيزات والخبرات والأفكار المسبقة لأعضاء صنع القرار، إضافة إلى تحليل البيئة الخارجية التي تدعو إلى اتخاذ قرار ما في زمن محدد، ذلك أن صانع القرار يجمع في تصوره للموقف بين ملامح النظام القومي ودوره وملامح النظام الدولي ككل (سليم، 1989).

أسباب استخدام هذه النظرية:

إن ما يميز هذه النظرية هي أنها تجمع بين عدة مستويات للتحليل في مشروع واحد، فهي تحاول أن تقدم تفسيرا منطقيا للسياسات الخارجية من خلال تحليل العوامل النفسية التي تؤثر في شخصية صانع القرار ورؤيته للمواقف وكيفية التصرف إزائها، كما تحاول أن تقدم تحليلا لمتغيرات البيئية المحيطة بصانع القرار، وتحاول البحث في الطريقة التي تتفاعل بها هاتان المجموعتان (مقلد، 1982). وذلك لأن أصل السياسة الخارجية يكمن في هذا التفاعل، حيث لا يتحدد صنع القرار السياسي الخارجي فقط بالمتغيرات الموضوعية التي تحيط بصانع القرار، بل بطريقة رؤيته لهذه المتغيرات، وهي الرؤية التي تتحدد عبر سلسلة المعتقدات والقيم والتصورات التي تشكل شخصية صانع القرار (الرمضاني، 1991).

توظيف النظرية في هذه الدراسة

سيتم توظيف هذه النظرية في الدراسة عبر تحليل معتقدات المحافظين الجدد وتصوراتهم والأفكار التي يؤمنون بها حول الدور القيادي للولايات المتحدة الأمريكية، وعبر إلقاء الضوء على شخصية الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن الذي احتضنت إدارته مجموعة المحافظين الجدد، إضافة إلى تحليل الوضع الدولي والحدث الذي أسهم في تقديم أجندة المحافظين الجدد على سلم أولويات البدائل والاختيارات السياسية والاستراتيجية المطروحة أمام الإدارة الأمريكية، مما أسهم

في انتهاج الولايات المتحدة لسياسة تدخليه Intervention Policy، تعتمد القـوة كأداة رئيسية لتحقيق أهدافها الخارجية.

8.1 الدراسات السابقة:

لقد حظيت الدراسات المتعلقة بالفكر الاستراتيجي والسياسة الخارجية الأمريكية بأهمية بالغة في عالم ما بعد الحرب الباردة وظهور النظام الدولي الجديد والحرب على الإرهاب، والتوجه الأمريكي نحو إعادة التمركز في منطقة الشرق الأوسـط ووسط آسيا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وذلك ضمن استراتيجية جديـدة تعتمـد على مقولات ونظرية المحافظين الجدد الداعية إلى عدم التردد في استخدام القـوة الصلبة لضمان المصالح أو لتغيير الأنظمة. وقد تناولـت عـدة دراسـات فكـر المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية؛ بعضها بحث في الجوانب المتعلقة بالجذور التاريخية للمحافظين الجدد، والبعض الأخر بحث في المؤسسات والمعاهد والصحف التابعة لهم والكيفية التي بدأوا بها التأثير على الرأي العام ودوائر صنع القرار، ومن أهم هذه الدراسات :-

Kosterlits, 2003, *The Neoconservatives Moment*

تحدثت الباحثة في هذه الدراسة عن صعود المحافظين الجدد ووصولهم إلـى مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس جورج بوش الابن، والتأثير الذي تمكنوا من صنعه لتحويل السياسة الخارجية الأمريكية عـن تقاليدها التي تتسم بالواقعية، إلى ما هي عليه ألان من راديكاليـة بعـد أحـداث الحادي عشر من سبتمبر، موضحة أن هذه التحولات التـي تـشهدها الـسياسة الأمريكية والفكر الاستراتيجي الأمريكي عموما، ما هي إلا بداية لعصر أمريكي جديد .New Pax Americana

دراسة علي،2004, بعنوان تساؤلات حول اليمين الجديد في الولايات المتحدة

وقد تناول الباحث في هذه الدراسة فكر المحافظين الجدد ومبادئهم المـستوحاة من ولستيتر وليوشتراوس، والوثائق التي تم إعدادها من خلال مراكز البحـوث والدراسات السياسية والاستراتيجية، والتي تنص على ضرورة استثمار التفـوق العسكري الأمريكي لتحقيق المصالح الأمريكية ولو باستخدام القوة، كمـا تنـاول

علاقة المحافظين الجدد باليمين المسيحي وتأثيره على الإدارة الأمريكية برئاسـة بوش الابن.

Halper & Clarke, 2004, *Neo-conservatism Is Not Reaganism*

عقد الباحثان في هذه الدراسة مقارنة بين السياسة الخارجية للرئيس رونالد ريغان بوصفه مقربا من المحافظين وأول من قرَب المحافظين إلى دوائر القرار السياسي، حيث شهدت فترة رئاسته عددا من التدخلات الخارجية واستخدام القوة الصلبة مثل ضرب الجماهيرية الليبية، ونزول قوات المارينز إلى العاصمة اللبنانية بيروت، وغزو غرينادا، وبين السياسة الخارجية للمحافظين الجدد التي تتسم بالعنف واستخدام القوة، وعدم الالتفات إلى القوانين الدولية أو حتى مراعاة الحلفاء، من اجل السيطرة والهيمنة على النظام الدولي. وقد بين الباحثان الاختلافات الجوهرية بين السياستين موضحين بعض آراء المحافظين الجدد الداعية لاستغلال التفوق الأمريكي لبناء الإمبراطورية وبسط النفوذ.

دراسة مبيضين و تيم،2004، بعنوان الصهيونية المسيحية: نشأتها وجذورها ومنطلقاتها والعلاقة الأمريكية الإسرائيلية.

تناول الباحثان في هذه الدراسة منطلقات وأهداف الحركة المسيحية الصهيونية والدور الذي تلعبه في توجيه السياسة الخارجية الأمريكية نحو الالتزام بالقـضايا الإسرائيلية، كما سلطا الضوء على المسارات التاريخية التـي أدت إلـى تهويـد المسيحية البروتستانتية، وإيجاد طابع من التمـاهي بـين الأصـولية المـسيحية والحركة الصهيونية، وهو الأمر الذي أدى إلى خلق فكرة دعـم إسـرائيل فـي الوجدان الأمريكي كمشروع إلهي يحقق نبوءات الكتاب المقدس.

دراسة فرسون،2002، بعنوان جذور الحملة الأمريكية على الإرهاب.

هدف الباحث في هذه الدراسة إلى الكشف عن الجذور الفكرية التي أطـرت للعمل الأمريكي ضد الإرهاب، والتأصيل النظـري لموضـوع غيـاب العـدو الاستراتيجي بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وحاجة أمريكا الفكرية والأيديولوجيـة إلى عدو جديد، ودور المحافظين الجدد في التهيئة والدعوة إلى خلق العدو الجديد. و قد خلصت الدراسة إلى أن السياسة التي تمت بلورتها في ظل ثقافة محافظـة

وكونغرس يهيمن عليه المحافظون الجدد، هي سياسة عدوانية تنزع إلى التـدخل لتغيير الخرائط في منطقة الشرق الأوسط.

دراسة زانويان، 2002، بعنوان آن الأوان لقرارات تاريخية في منطقة الخليج.

لقد تناول الباحث في هذه الدراسة الأهمية الجيوبوليتيكيـة لمنطقـة الخلـيج العربي في السياسة الخارجية الأمريكية والتغيرات التي طرأت على هذه السياسة عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، ووصول المحافظين الجـدد إلـى مراكز صنع القرار، وتأثيرات الفكر المحافظين ونظريتهم على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية ونظرتها إلى منطقة الشرق الأوسط، وتحديدا منطقة الخلـيج العربي، منوها إلى ضرورة إجراء تغيرات جذرية في الفكـر الـسياسي لـدول الخليج كي يتناسب ذلك مع دعوات الإصلاح التي ينادي بها الغرب.

دراسة هالبر و كلارك،2005، بعنوان التفرد الأمريكـي: المحـافظون الجـدد والنظام العالمي.

تناول الكاتبان في هذه الدراسة الأصول التاريخية للمحـافظين الجـدد ونـشأتهم التنظيمية وارتباطاتهم المؤسسية، كما تناول الكاتبان مجموعة الأفكـار والعقائـد التي يؤمن بها هؤلاء، والتأثير الذي تركته هذه الأفكار على السياسة الخارجيـة الأمريكية، وتعد هذه الدراسة من أشمل الدراسات التي كتبت حـول المحـافظين الجدد.

يلاحظ من خلال الحديث الموجز عن تلك الدراسات أنها بحثت في جزئيـات محددة؛ حيث اقتصرت إما على الجذور الفكرية للمحافظين الجدد أو على العلاقة التي تربطهم بالتيارات المسيحية المتطرفة أو بالصهيونية أو بإسرائيل. والبعض الأخر من هذه الدراسات اقتصر على العلاقة التي تربط الـرئيس بـوش الابـن بالمحافظين الجدد والتأثير الذي تركه هؤلاء على السياسة الخارجية الأمريكية من خلال هذه العلاقة دون الحديث الكلي أو النظرة الكلية لتأثير نظرية المحـافظين الجدد بجذورها التاريخية على توجهات السياسة الخارجية الأمريكيـة بأبعادهـا المختلفة وتطبيقاتها في فترة ما بعد أحداث الحادي عشر مـن سـبتمبر 2001، والذي تحاول هذه الدراسة الحديث عنه بربطه بشكل يعبر عـن فلـسفة وفكـر

المحافظين الجدد. ومما لا شك فيه أن هذه الدراسات سيكون لها أهمية كبيرة في رفد هذه الدراسة.

الفصل الثاني

الجذور التاريخية للمحافظين الجدد ونظرتهم الاستراتيجية

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر تغيرت نوعية صناعة القرار بشكل عام في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تدخلت العوامل الإيديولوجية في عملية صنع القرار؛ وذلك بعد أن دخل الكثير من الأيديولوجيين من الخبراء والمستشارين والمدنيين في وزارة الدفاع، والمستشارين المدنيين في البيت الأبيض من أتباع اليمين المتطرف من ناحية أيديولوجية و فلسفية، والذين ينظرون إلى السياسة الخارجية من خلال إطار استعمال القوة، ويرون أن الولايات المتحدة لتحقيق مصالحها ولحل المشاكل التي تواجهها يجب أن لا تتردد في استخدام قوتها(التلحمي، 2002).

فالكفة الراجحة في النقاش داخل إدارة بوش وعلى مستوى الرأي العام الأمريكي هي لصالح فئة الأيديولوجيين من اليمين المتطرف، فهناك الكثير من المستشارين في وزارة الدفاع وفي البيت الأبيض الذين يفضلون الحل العسكري لكثير من قضايا السياسة الخارجية كقضية العراق، والرئيس بوش يتعاطف إلى حد مع طروحات اليمين المتطرف أو المحافظين الجدد (التلحمي، 2002)، فمن هم هؤلاء المحافظين الجدد، ما هي أفكارهم وفلسفتهم، وكيف كانت بدايتهم؟ هذا ما سيعالجه هذا الفصل ضمن عدد من المباحث وكما يلي:-

1.2 البدايات الأولى لظهور المحافظين الجدد

تعود بدايات المحافظين الجدد إلى ما قبل حوالي 35 عاما، وهي بدايات معقدة وتتسم بالتنوع، والانتقال الفكري من اليسار إلى اليمين، ومن السياسة المحلية إلى السياسة الخارجية، وقد بلغ المحافظون الجدد ذروة مجدهم بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001، عندما وجدوا أنفسهم في مناصب ذات تأثير كبير، فتقدموا ليتولوا مسؤولية آلة الحرب الأمريكية، ليقودوها نحو منعطف جديد تنفيذا لمصالحهم وتوجهاتهم الخاصة، بعيدا عن النهج القائم على بناء الإجماع وادخار الموارد الذي ميز السياسة الدولية للجمهوريين (هالبر وكلارك، 2005).

لقد كانت بدايات المحافظين الجدد، الذين هم خليط من أصحاب النزوات الليبرالية واليسارية، في أحضان مجموعة صغيرة ليبرالية يهودية ممن عملوا تحت الدعاية المباشرة للسناتور الديموقراطي "هنري سكوب" في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي، وتميزت عن باقي التحالفات الديموقراطية واليسارية بالعداء الشديد جدا للشيوعية، والدعوة إلى الإنفاق غير المحدود على ميزانيات العسكرة الأمريكية. وعلى الرغم من هذا الاقتراب الفكري من الحزب الديموقراطي، إلا أن المحافظين الجدد ومن الناحية التنظيمية، ينتمون إلى المنظمات غير الحكومية واللوبيات والمستودعات الفكرية التي تتمتع بفعالية مطلقة بسبب قلة عدد أعضائها وسلاسة اتخاذ القرار بها، إضافة إلى سهولة تبني المشروع السياسي والمرونة من ناحية التحرك والتمويل على العكس من الأحزاب السياسية الأخرى (محمود، 2003).

فلقد بدأ ت المسيرة الفعلية للمحافظين الجدد عام 1973 في أوج المعارضة الشعبية لحرب فيتنام، عندما تمكن أحد موظفي البنتاغون وأسمه دانيال إلسبيرغ من الاستيلاء على وثائق سرية أعدها فريق عمل تابع لوزير الدفاع روبرت ماكنمارا تبين التباين الفاضح بين الأهداف المزعومة للحرب والأهداف الحقيقية، والتي نشرتها صحيفة "نيويورك تايمز" مما أحدث تأثيرا عارما آنذاك، أدى إلى ظهور ما يسمى بالثقافة المضادة للنهج الأمريكي، مما دفع غرفة التجارة الوطنية إلى توزيع مذكرة صاغها لويس بأول القاضي في محكمة العدل العليا، و رسم فيها الاستراتيجية الواجب إتباعها، لا لاستعادة السلطة والتأثير فحسب، بل لتعزيز السيطرة الكاملة والمستديمة على السياسة والمجتمع الأمريكي، من خلال إنشاء منظمات يتم التخطيط لأهدافها، وتنفيذ هذه الأهداف على مدى سنوات وبصورة مبرمجة للتأثير على الرأي العام، وأن يتم التخطيط لتوفير التمويل اللازم لتحقيق هذه الأهداف، وأن يتم توظيف الباحثين ونشر الصحف وتأليف الكتب ونشر المقالات والرسائل النقدية في وسائل الإعلام (لوران، 2003).

وقد كان لدعوة لويس بأول هذه أثرا كبيرا لدى العديد من قادة الرأي الأمريكان، وعلى العديد من أصحاب رؤوس الأموال والأثرياء، الذين سارعوا

إلى تمويل إنشاء المنظمات الفكرية ومراكز الدراسات الهادفة إلـى الفـوز فـي معركة الأفكار عن طريق التأثير على عقول واتجاهات الرأي العام؛ حيث أنـشأ الملياردير الأمريكي ريتشارد سكايف ميلون مؤسسة "تـراث" Heritage عـام 1973، إضافة إلى العديد من المؤسسات الأخرى. إذ أنفق ميلون ما يقارب 600 مليون دولار لغاية عام 1997 لإنشاء ودعم عدد كبير من المؤسسات والمنظمات المحافظة المتطرفة، كمؤسسة هوفر أنستيتيوت Hoover Institute في جامعـة ستانفورد، وكانت كوندوليزا رايس (وزيرة الخارجية الأمريكية الحالية) مسؤولة عنها، وأمريكـان إنتربرايـز أنـستيتيوت American Enterprise Institute الذي أنشئ عام 1943 لكنه بقي غير فاعل لغاية عام 1971، و كان من أركانـه ريتشارد بيرل ولين تشيني زوجة نائب الرئيس الأمريكي ديك تـشيني، وكـاتو أنستيتيوت Cato Institute، إضافة إلى عدد لا يحصى من المؤسسات الأخرى النشطة في ميادين الاجتماع والقانون والاستخبارات (لوران، 2003).

وتعتبر مؤسسة هيريتج Heritage من أهم هذه المؤسسات وأنجحها كونهـا تقدم نشره تحمل وجهة نظرها السياسية في اليوم التالي لأي حدث سياسي، كمـا تقدم لأعضاء الكونغرس عشية أي مناقشة أو تصويت على قـانون مـا تقريـرا يعرض تحليلا للمشروع الذي سيطرح إضافة إلى بعـض التفاصـيل والحلـول المقترحة. وقد ساعد في إنشاء هذه المؤسسة بالإضافة إلى ميلون، المليونير وليام كورز، صاحب مؤسسة كورز فاونديشن التي ترتبط بعلاقات وطيدة مع عدد من المنظمات المحافظة المتطرفة لا سيما في أوساط اليمين المسيحي وقادته، أمثـال زعيم منظمة الأغلبية الأخلاقية "جيري فالويل" ورائد الائتلاف المـسيحي "بـات روبرتسون"، وهما من أقرب المقربين إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن. كذلك ترتبط مؤسسة كورز فاونديشن بعلاقات مـع مؤسـسة فـري كـونغرس فاونديشن Free Congress Foundation المعروفة بمواقفها المتطرفة، وتكتمل الصورة من خلال علاقة اليمين المحافظ بمؤسستين مهمتين هما: أولين فاونديشن Olin Foundation التي تعتمد على صناعة الذخائر والمنتجـات الكيميائيـة، ومؤسسة ليند أند هـاري برادلـي فاونديـشن Lynde And Harry Bradley

Foundation التي مولت العديد من أركان المحافظين الجدد أمثال آلن بلوم أستاذ بول وولفويتز (رئيس البنك الدولي حاليا) الذي كان نائب وزير الدفاع والمنظر الحقيقي للصقور في الإدارة الأمريكية الحالية، وأيرفنغ كريستول أحد رواد اليمين المتطرف في عهد ريغان وابنه وليام كريستول أحد المفكرين المتنفذين داخل الإدارة الحالية ومدير مجلة المحافظين الجدد Weekly Standard التي يمولها بشكل كامل روبرت مردوخ المقرب من الرئيس بوش (لوران، 2003).

وعلى مر السنين، ومن خلال هذه المؤسسات وغيرها تم التعبير عن وجهات نظر اليمين المتطرف الأمريكي ورؤاهم بطريقة تحقق أكبر قدر ممكن من التأثير على المجتمع الأمريكي، حيث تم اللجوء إلى أكبر عدد ممكن من تقنيات التسويق والعلاقات السياسية والإدارية لكسب الرأي العام؛ فقد شكل وصول رونالد ريغان إلى الحكم عام 1980 أول انتصار للحركة المحافظة ولمؤسسة هيرتاج كونها منحت الإدارة الجديدة الرجال والأفكار لأنها قدمت الوثيقة المسماة "**تفويضا للزعامة**" والمكونة من ثلاثة آلاف صفحة التي وضعت في عشرين مجلدا. وكان البرنامج السياسي للإدارة الجديدة مشروحا بالتفصيل في تلك الوثيقة، ومن بينها مشروع حرب النجوم ومبادرة الدفاع الاستراتيجي، وانخفاضات البرامج الاجتماعية. ويقول أحد مؤلفي النص " أنه أضحى مرجعا حقيقيا بمثابة الكتاب المقدس لكل من يصل إلى الحكم، حيث يعثر فيه على الأفكار وعلى رؤية واضحة للأهداف التي ينبغي تحقيقها والوسائل المساعدة على ذلك" (لوران، 2003: 39).

ولا يعتبر هذا الانتصار غريباً، فقد جاء نتيجة طبيعية للجهود التي بذلها المحافظون الجدد، حيث كانوا قد أسسوا ومنذ فترات طويلة نسبيا بيئتهم الخاصة في الحياة السياسية في العاصمة واشنطن، من خلال عملهم واستقرارهم داخل شبكة هائلة من مؤسسات الفكر والمعاهد ومراكز الدراسات، كمركز جورج تاون للدراسات الاستراتيجية ومعهد أسبن، ومعهد هدسون وغيرها. ومع انتشار نفوذ هؤلاء الأكاديميين والباحثين في دوائر السلطة، لم يعودوا مجرد مفكرين يكتبون

المقالات ويؤلفون الكتب، بل أصبحوا مـؤثرين فـي صـنع القـرار الـسياسي الأمريكي، حيث أصبح ذوي المناصب والمرشحين الـسياسيين يـصغون إلـيهم وصاروا يساهمون في كتابة الخطابات الرسمية ويقدمون توصيات في البـرامج، ويساعدون في وضع مشاريع القوانين ويخدمون في مهمـات خاصـة(هـالبر وكلارك، 2005).

وقد ترك فكر المحافظين الجدد أثرا واضحا على السياسة الخارجية الأمريكيـة إبان عهد الرئيس ريغان، من خلال ما عرف آنذاك "بعقيدة كير كباتريك" نـسبة إلى العالمة السياسية جين كير كباتريك التي عينها الرئيس رونالد ريغان مستشارة له لشؤون السياسة الخارجية، ومن ثم رشحها لتكون سفيرة الولايـات المتحـدة الأمريكية في الأمم المتحدة. وتقوم هذه العقيدة على العـداء الـشديد للـشيوعية والتسامح مع الأجنحة اليمينية الدكتاتورية في بعض دول العالم الثالث واعتبار أن الثورات الاجتماعية اليسارية في العالم غير شرعية مفـضلة أن يحـل مكانهـا الدكتاتوريات اليمينية، مبررة ذلك بإعجابها بالدور الذي لعبته هذه الـدكتاتوريات في الوقوف أمام المـد الشيـوعي والاشتراكي (Neoconservatevs, 2005).

وكنتيجة لهذه العقيدة دعمت إدارة ريغان عددا من الدكتاتوريات في أمريكـا اللاتينية وفي آسيا؛ حيث قدمت الولايات المتحدة الأمريكية في عهد إدارة الرئيس ريغان الدعم للرئيس التشيلي أوغستو بينوشيه، كما قدمت الدعم أيـضا للـرئيس الفلبيني فيردناند ماركوس، إضافة إلى قيام تلك الإدارة بغزو غرينـادا وضـرب الجماهيرية العربية الليبية، وتسليح المليشيات اليمينية في أمريكا اللاتينية للتخاص من الحكومات اليسارية المناوئة لها (Kosterlitz, 2003).

وعلى الرغم من ذلك، وكما يقول ستيفان هالبر وجوناثـان كـلارك؛ فـان تدخلات الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان العسكرية كانت محدودة سواء ما يتعلق منها بالتدخل في غرينادا أو في ليبيا أو في بيروت، وكانت هذه التـدخلات محدودة الوقت والأسلوب، وقد صرف الرئيس ريغان معظم وقت إدارته بالتركيز على موضوع يخالف توجهات المحافظين الجدد وهو موضوع الحد من التـسلح، كما كان الرئيس ريغان متفائلا ويتطلع إلى تحقيق طموحات و آمال الشعب وليس

مخاوفه، على عكس المحافظين الجدد الذين عمدوا إلى تحريك مشاعر الخوف لدى الشعب الأمريكي، لاستغلالها في بناء ودعم سياسة ذات طابع واحدي في نظرتها إلى الشؤون الدولية، فالإنجاز التاريخي للرئيس ريغان وهو هزيمة الاتحاد السوفييتي، تحقق ليس لان الرئيس ريغان اتبع توجيهات المحافظين الجدد بل لانه خالفهم (Halper & Clarke, 2004).

وقد تراجع تأثير المحافظين الجدد في عهد الرئيسين جورج بوش الأب وبيل كلينتون، وذلك لسببين: الأول انهيار الاتحاد السوفييتي وفقدان العدو الاستراتيجي الذي بنى المحافظون الجدد رؤيتهم على أساس وجوده، والسبب الثاني النقد الشديد الذي تعرضوا له لدورهم في الفضائح السياسية المتعلقة بإيران والكونترا، وهو الأمر الذي حدا بأحد الآباء المؤسسين للمحافظين الجدد – نورمان بودهوريتز – إلى إعلان وفاة مشروع المحافظين الجدد عام 1996 (بيومي، 2005). لذا فقد تحول المحافظون الجدد إلى انتقاد السياسة الخارجية الأمريكية في عهد هاتين الإداريتين متهمين بوش الأب وكلينتون بعدم الوضوح الأخلاقي فيما يخص الإيمان المطلق بضرورة القتال من أجل تحقيق المصالح السياسية الاستراتيجية في الخارج، وهو الأمر الذي بدا واضحا في كتابات كل من بول وولفويتز ونورمان بودهوريتز، واليوت أبرامز، وريتشارد بيرل، وجين كير كباتريك، وماكس بوت، ووليام كريستول، وروبرت كاغان، ووليام بينيت، وبيتر رودمان وغيرهم من رموز المحافظين الجدد (Smith, 2002).

واستمر المحافظون الجدد في انتقاد السياسة الخارجية الأمريكية "اللينة" تجاه الصين وروسيا في بدايات حكم جورج بوش الابن، وكذلك انتقاد ما اعتبروه تراخيا في دعم إسرائيل (Smith,2002). غير أن الفرصة التاريخية المتمثلة في أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 والاستغلال الأمثل لها، أعطت زخما كبيرا وجديدا لأفكار المحافظين الجدد، كما أعطتهم فرصة كبيرة أيضا لفرض أجندتهم، من خلال المشاركة في صياغة رد الرئيس بوش والإدارة الأمريكية على هذه الهجمات، وتضمين الرد جزءا كبيرا من أفكارهم وسياساتهم المتعلقة بمحاربة الإرهاب (زانويان، 2004).

فلقد شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر علامة فارقة ونقطة تحول فـي الفكر السياسي الأمريكي، وفي رؤية أمريكا لنفسها ولعلاقاتها بالعالم ودورها فيه، مثله مثل الأحداث الكبرى التي شهدها التاريخ الأمريكي الحديث، كالهجوم علـى بيرل هاربر والانقلاب الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا عام 1948، والحرب الكورية عام 1950. لذا رأت الولايات المتحدة الأمريكية والمحافظون الجدد، أنه لا بد من اتخاذ هذه الأحداث مناسبة لتعويض الفرص الضائعة، لإعادة صـياغة المبـادئ الناظمة لسياسة الولايات المتحدة الخارجية، لان هذه الأحداث كانت هي الأخطر ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية لاول مرة يتم ضربها في الداخل(عبد الجواد، 2002).

فبعد تسعة أيام من أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، بعث أربعـون شخصاً من المحافظين الجدد، برسالة مفتوحة إلى الرئيس جـ ـورج بوش الابن ترشده إلى كيفية قيادة الحرب ضد الإرهاب، وكان من بين الموقعين على الرسالة ايرفنج كريستول وريتشارد بيرل، حيث قاموا بحث الرئيس بوش على تحطـيم حزب الله، مع أنه ليس له علاقة بتلك الأحداث، كما حثوا على ضرورة مهاجمة كل من سوريا وإيران إذا لم تقطعا روابطهما بذلك الحزب، أما بالنسبة للعـراق فعلى الرئيس بوش أن يعلن عليه الحرب ويعزل صدام حـسين مـن منـصبه، وحذروا بوش بأنه إذا تقاعس عن شن الحرب على العراق فإن تقاعـسه سـيمثل استسلاماً مبكراً وشاملاً في الحرب على الإرهاب الدولي. وقد علـق الـسياسي والمفكر الأمريكي باتريك بوكانان على هذه الرسالة بقوله: لقد أنذر الرئيس بوش بأن عليه أن يستغل أحداث الحادي عشر من سبتمبر ليشن حرباً على دول عربية ليست لها علاقة بالهجوم الذي تعرضنا له، وقد التقط هذه المناسبة رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك بنيامين نتنياهو ليدعو هو الآخـر إلـى سـحق إمبراطوريـة الإرهاب، التي تتكون من حماس وحزب الله وإيران والعراق والمناطق الفلسطينية المحتلة (جلال، 2004).

ونتيجة لهذه الأحداث برز داخل الإدارة الأمريكية تحالفا غير مـسبوق فـي التاريخ الأمريكي، يجمع بين الجمهوريين والمحافظين الجـدد وأتبـاع اليمـين

المسيحي المتطرف (رؤوف، 2003)، مما أفرز نزوعا جارفا نحو الهيمنة، وبات شعار "مكافحة الإرهاب" بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، هو البديل لـشعار "مكافحة الشيوعية" زمن الحرب الباردة، وبدأت السياسة الخارجيـة الأمريكيـة تحدث تحولا في السياسة الدفاعية، من كونها سياسة تقوم على مبدأ الاحتواء إلى سياسة دفاعية تقوم على مبدأ الهجوم الاستباقي، وهي في هذا السياق لا تقبل من الآخرين سوى الانصياع فإما مع أمريكا وإما مع الإرهـاب (منيـسي، 2002**)**. وهو الأمر الذي يعزز توجه الاستراتيجية الأمريكية نحـو الأحاديـة والهيمنـة المتخلية عن كل قيم وأبعاد النموذج الأمريكي الإيجابية، في تداخل واضح بـين أبعاد المنظومة القيمية وأبعاد القوة العسكرية، مما افرز خطورة جديدة في تقاليـد السياسة الخارجية الأمريكية (مصطفى، 2002).

2.2 الجذور الفكرية للمحافظين الجدد

لقد دخل مصطلح "محافظ جديد" القاموس السياسي الأمريكي الحـديث فـي سبعينات القرن الماضي لتعريف كائن سياسي جديد تحول إلى اليمين، وذلك نتيجة لاعتقادهم بتردد اليسار في الوقوف بوجـه الـسوفييت والراديكـاليين المعـادين لأمريكا. فأول من استخدم هذا المصطلح هو مايكل هارينغتون ومحـررو مجلـة Dissent. هذا الكائن السياسي ارتبط مؤسسوه باليسار التروتسكي لفترة وجيزة في ثلاثينات القرن العشرين، وأصبح مفكروه مجموعة مميزة لأول مرة (كأفراد وليس كمنظمات) خلال ذلك العقد عندما تجمعوا في قسم صغير من كافيتيريا كلية سيتي في نيويورك –عندما كانوا طلبة في الجامعة- يدعى (القاعة 1)، وهـي المكـان الذي يجتمع في الاشتراكيون غير الشيوعيين لمناقشة آرائهـم. فـي حـين كـان الشيوعيون يجتمعون في (القاعة 2). ومن مفكري النهج المحافظ الجديـد الـذين اجتمعوا في القاعة 1 دانيال بل، وناتان غيلزر، وايرفنغ كريستول، وملفين لاسكي، وسايمون مارتن ليبست، وسايمون ملمان، ودانيال باتريـك موينيهـان، وفيليـب سلزينك (هالبر وكلارك، 2005).

ولكن تعود جذور المحافظين الجدد إلى المجموعات التي انشقت عن حركـة "المحافظين" وانتقلت إلى اليمين السياسي، ومعظمهم ينحـدرون مـن العـائلات

اليهودية المهاجرة من أوروبا الشرقية. وهي مجموعات سياسية كانت ترتبط بالنضال ضد الشيوعية وتدعم حركة الحقوق المدنية والدمج العنصري ومارتن لوثر كينغ، وهي الأفكار التي عبر عنها منظرو المحافظين الجدد أمثال ايرفينغ كرستول ونورمان بودهوريتز في مقالاتهم المنشورة في مجلة " كومنتري "، كما عبروا كذلك عن ازدرائهم للثقافة المضادة التي قادها اليسار الجديد في أمريكا إبان الاحتجاجات العارمة على الحرب الفيتنامية (Smith, 2002).

وقد تطور فكر المحافظين الجدد من الاهتمام بالسياسة المحلية وقضاياها الداخلية، إلى الاهتمام بقضايا وتوجهات السياسة الخارجية؛ حيث بدءوا بالتعبير عن هذا التوجه من خلال دعم أفكار الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون الداعية إلى نشر القيم الأمريكية السياسية والاقتصادية والحضارية في العالم، ولكنهم اختلفوا معه حول اعتماده على المنظمات الدولية والمعاهدات والتحالفات كأسلوب لنشر هذه القيم، مبدين إعجابهم الكبير بسياسة العصى الغليظة التي انتهجها الرئيس الأمريكي الأسبق ثيودور روزفلت، مما يدل على رغبتهم في انتهاج سياسة خارجية "تدخلية" قادرة على فرض النموذج الأمريكي ونشر الديموقراطية ولو باستخدام القوة، وهو الموقف الذي اتسم بعدائه الشديد للسياسات الداعية إلى التركيز على الشأن الداخلي. وتعدو جذور هذا التحول في الفكر المحافظ الجديد إلى التأثر بأفكار ماكس تشاشتمان، الذي تأثر بدوره بالنظرية التروتسكية الداعية إلى الثورة العالمية الاشتراكية الدائمة. فتبنى أفكار تشاشتمان كل من جين كير كباتريك، وريتشارد بيرل، وبول وولفويتز، واعتمدها المحافظون الجدد بعد ذلك كدعوة لنشر الديموقراطية الرأسمالية في الخارج ولو بالقوة، مبدين دعمهم للنظم الديموقراطية في آسيا كإسرائيل وتايوان، ومعبرين عن معاداتهم الشديدة للنموذج الصيني وللدول الشرق أوسطية الداعمة "للإرهاب" (Smith, 2002).

فتسمية المحافظين الجدد تعطي انطباعا، لأول وهلة، بأنهم برزوا في أمريكا من بين صفوف المحافظين التقليديين، أو أنهم جماعة من المحافظين التجديديين أو الإصلاحيين، لكنهم في الواقع جاءوا من صفوف اليسار واليسار المتطرف، ومن بين الليبراليين؛ فبعضهم كان ماركسيا أو تروتسكيا. ويشن المحافظون الجدد

حربهم داخل الولايات المتحدة ضد المحافظين والليبراليين على حد سواء، ولكنهم أكثر شراسة في حربهم ضد المحافظين لأنهم بالإضافة إلى صـراعهم الفكـري يتصارعون على النفوذ السياسي. فالمحافظة السياسية التي يعادونها والتي توصف بأنها تقليدية، ويصنّف أتباعها بأنهم محافظون، يتمثل موقفها السياسي في الوقوف ضد التغيير الجذري في المؤسسات السياسية والثقافيـة والاجتماعيـة (جـلال، 2004).

وفي حقيقة الأمر، فإنه لا يوجد في الحياة السياسية الأمريكية معنـى محـدد لكلمة محافظ، بل يستخدمها الخصوم السياسيون لتحقير بعضهم بعضاً. وبوجه عام يعارض المحافظون تدخل الحكومة في حرية الاقتصاد والتوسـع فـي الأنفـاق الحكومي، خاصة في مجال التعليم والرعاية الاجتماعية والـصحية للمعـوزين، ويعارضون كذلك زيادة الضرائب ويحاربون الإجهاض، ويطالبون بالتـشدد فـي عقاب مقترفي الجرائم، وبعضهم يعارض الحريات المدنية. ويشكّل المحـافظون الجدد مجموعة مختلفة من المفكرين المستقلين ذوي التخصصات المتنوعة، لذلك فإنه من الصعب جمعهم تحت مظلة نظرية أو مذهبية محددة. أما الصفة المميزة التي تجمعهم فهي حبهم ودعمهم وولاؤهم لإسرائيل، واتهامهم لمن يخالف مواقفهم في تأييدهم لها بالعداء للسامية التي تعني كراهية اليهود بسبب دينهم أو ثقافتهم أو أصولهم، وهم في دفاعهم عن مصالح إسرائيل يزعمـون أنهـم يـدافعون عـن المصالح الأمريكية.فيعرف عراب المحافظين الجدد ايرفنج كريستول المحافظـة الجديدة بقوله إنها مصطلح وصفي وليست نصوصاً مقررة، أي أنها ليست نظرية أو أيديولوجية أو برنامجاً حزبياً. وفي توضيحه لهذا المصطلح يقول كريستول إن المحافظة الجديدة تصف تلاشي الإيمان بالليبرالية لدى مجموعـة صـغيرة مـن المفكرين والعلماء الموهوبين، الذين تحولوا إلى وجهة نظـر محافظـة، ولكنهـا تختلف عن المحافظة التقليدية للحزب الجمهوري(جلال، 2004).

أما ما يقوله مارك جيرسون مؤلف كتاب "**المحـافظون الجـدد كـــتاب للقراءة**": أن المحافظين الجدد يشكلون قوة فكرية على درجة عالية من التأثير في الفكر السياسي الأمريكي، فمع أن معظم المحافظين الجدد مفكرون سياسيون، إلا

أنهـــم يعرضون آراءهم من خلال رؤية فلسفية ذات ارتباط بالسياسة، ويـرون أن العالم في النهاية محكوم بالأفكار. ويرى جيرسون أن المحافظين الجـدد قـد أقاموا مواقفهـم السياسية على أفكار منسوبة إلى اليسار، وان كل موقف اتخـذه المحافظون الجدد، أو نقاش انخرطوا فيه، كان ردا على أفكار ليبراليـة رئيـسية (جلال، 2004).

إن مفهوم المحافظين الجدد في الأدبيات السياسية الأميركية هو مفهوم فوق حزبي يشار به إلى رؤية ونهج وتبني لمجموعة سياسات ومسيرة تتعدى إطاري التنافس الجمهوري والديمقراطي الأميركيين. وعند ريتشارد بيرل هو الذي يؤمن بضرورة نقل الحرب إلى بلدان الآخرين من اجـل حمايـة الولايـات المتحـدة الأميركية لأن القانون الدولي يقف حجر عثرة أمام ذلك، ويطالب بتغييـر هـذا القانون لتشكيل الظروف الدولية بشكل إيجابي لصالح أمريكا. ويعـرف المفكـر السياسي الأمريكي (ماكس بوت) المحافظين الجدد بطريقة أكثر شمولا فيرى أنهم هم أولئك الذين يعتقدون أن الولايات المتحدة الأميركية يجـب ألا تخجـل مـن استخدام قوتها التي لا تبارى لرعاية قيمها ومبادئها في العالم بما في ذلك صناعة إمبراطورية أمريكية، وهم يؤمنون أيضا أن الأخطار الحالية التي تواجه الولايات المتحدة الأميركية، لم يعد من الممكن أن تحتوى، وبالتالي فـإن اسـلم طريـق لمواجهتها، هو تبني أسلوب الضربات الاجهاضية (باكير، 2004) .

ويعتقد المحافظون الجدد إن الولايات المتحدة الأميركية سمحت لأخطاء كثيرة في العالم أن تتراكم عبر تحجيم الإنفاق العسكري وعدم الرد بقوة وفاعلية. ويتفق معظم المحافظين الجدد على الدعم اللامحدود للكيان الصهيوني الذي يرون فيـه دعامة أساسية للحفاظ على دور أمريكي عـسكري قـوي فـي منطقـة مليئـة بالمتناقضات ودعامة أيضا للدفاع عن الديمقراطية في منطقة تعج بالدكتاتوريات، ومنطقة تسببت أفكارها الشمولية والثيوقراطية من وجهة نظر هـم فـي رعايـة وتدعيم العداء " للأمريكانية "، الأمر الذي جعل من رعاية الأفكار الديمقراطية في هذه المنطقة ضرورة حتمية أمام الولايات المـتحدة الأميركية (باكير، 2004) .

وعلى الصعيد التنظيمي، لم تتوقف المحاولات لإنـشاء أشـكال تنظيميـة مختلفة منذ أوائل سبعينيات القرن الماضي تكفل سيطرة المحافظين الجدد علـى الحزب الديمقراطي؛ فقد تأسس في عام 1972 "التحـالف مـن اجـل غالبيـة ديمقراطية" من مجموعة ضمت ميدج ديكتر ونورمان بـود هـوريتز، وايـرفج كريستول وجين كيركباتريك. ثم تأسست لجنة "الخطـر الـراهن" عـام 1976 برئاسة ريتشارد بيرل نفسه ثم لجنة "العالم الحر" عام 1981 لتضم نفس الفريق تقريباً.وقد ظلت هذه اللجان الثلاث: التحالف والخطر الـراهن والعـالم الحـر، مرتبطة بالحزب الجمهوري إلى أن جاء تشكيل المجلـس القيـادي الـديمقراطي تتويجاً لكل هذا الجهد (باكير، 2004**)**. وقد لعب فريق الديمقراطيين الاجتماعيين الأمريكيين (S.D.U.S.A)، دوراً مؤثراً في تجسيد العلاقة بين الطرفين، تماما كالدور الذي لعبه المعهد اليهودي من اجل شئون الأمن القومي (جينـسا)، الـذي أسسه تسيفن براين في أوائل ثمانينيات القرن الماضي، ذلك المعهد الذي انحسرت مهمته في توسيع وتأجيج دائرة الصراع الأميركي - العربي، بمـا فـي ذلـك الوصول إلى حرب أمريكية على كل العرب، باسم مكافحة الإرهـاب وبالوكالـة عن إسرائيل، وقد قام بدور التنسيق بين ريتشارد بيرل و تسيفن براين جوشـاوا مورفاشيك أحد قادة الديمقراطيين الاجتماعيين الأمريكيين ومن القادة المؤسـسين للأمريكان انتربرايس أنستيتيوت (باكير، 2004) .

وبالنظر إلى التطور التاريخي الذي مرَ به المحافظون الجـدد منـذ بدايـة التأسيس لغاية اليوم، فإنهم يقسمون إلى قسمين أو إلى جيلين:-

الجيل الأول:نشأ هذا الجيل خلال فترة الستينات من القرن العشرين، وذلك نتيجة رد فعل للظروف الدولية التي كانت تحيط بالولايات المتحدة الأمريكية آنذاك على الصعيدين الداخلي والخارجي، وتقوم أفكار هذا الجيل على ستة أعمدة رئيسة هي (بيومي، 2005):-

أ- النظرة الخاصة للتاريخ التي يؤكد المحافظون الجدد من خلالها على أن الشر ظاهرة موجودة وحقيقية لا يمكن إنكارها، وأن صعودها مرهون

بتراخي أعدائها عن محاربتها، وهنا يمهدون إلى رفض عزلة أمريكـا، مؤكدين أن هذه العزلة هي التي سمحت للنازية بالصعود.

ب- يرى المحافظون الجدد أن القوة العـسكرية ولـيس المعاهـدات أو المجتمع الدولي أو المنظمات الدولية، هي القادرة على محاربة الشر، لذا يجب أن تبقى القوة أداة أساسية من أدوات السياسة الخارجية.

ج- الرفض المطلق لفكرة عزلة أمريكا أو تراجع دورها باعتبارها قائدة للعالم الحر، وعلى الأمريكيين القبول بهذا الأمر مهما كانت كلفته.

د- بحث المحافظين الجدد الدائم عن مشاريع وأهداف خارجيـة كبيـرة لتحقيق الأهداف الاستراتيجية الأمريكية وإعادة صياغة السياسة الخارجية من خلالها.إيمانهم بدور القيادة السياسية القادرة على المبادرة وصـناعة التاريخ.

ه- هـ- إيمانهم بدور السلطات التقليدية كالاباء والأسرة ومؤسـسات تنفيذ القانون والجيش، لذا حاربوا الثورة الثقافية الداعية إلـى التعدديـة والحرية الجنسية، وحقوق النساء والأقليات والشواذ.

و- و- من أبرز شخصيات الجيل الأول من المحافظين الجدد ايرفينـغ كريستول ونورمان بودهوريتز الآباء المؤسـسين لجماعـة المحـافظين الجدد، وباتريك موينيهان، ميدج دكتـر، دونالـد كاغـان، غيرتـرود هيملفارب، جين كير كباتريك ، ناثان غيلزر، دانيال بل، جيمس ولسون، وسيمون مارتن لبست.

لقد كان عام 1995 عاما حاسما في حياة المحافظين الجدد، فهو العام الـذي شهد أفول الجيل الأول وصعود الجيل الثاني، حيث شهد هذا العام استقالة نورمان بودهوريتز من مجلة كومانتري، وتأسيس وليام كريستول ابن ايرفينغ كريـستول مجلة ذا ويكلي ستاندرد The Weekly Standard، مجلة الجيـل الثـاني مـن المحافظين الجدد. وقد جاءت استقالة بودهوريتز نتيجة للازمة التي مر بها الجيل الأول عقب انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتي، إذ أدى فـشل هـذا الجيل في إيجاد عدو جديد، إلى صعود أصحاب التوجهات الواقعية وسـيطرتهم

على تيار المحافظين الجدد، حيث نادى هؤلاء بضرورة التـروي فـي إطـلاق مشاريع أمريكية كبرى، وفي استخدام القوة العسكرية الأمريكية، وزيادة نفقـات الجيش الأمريكي، الأمر الذي دفع بنورمان بودهوريتز إلى إعلان وفاة مـشروع المحافظين الجدد عام 1996 (بيومي، 2005).

الجيل الثاني: وهو الجيل الذي ظهر عقب بروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة مهيمنة على النظام الدولي بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وبعد انتصار أمريكا فـي حرب عاصفة الصحراء وتجدد ثقة الأمريكيين بجيشهم وقوتهم العسكرية (بيومي، 2005). وكان تأسيس مشروع القرن الأمريكي الجديد تعبيرا صريحا وواضـحا عن صعود هذا الجيل، وأن المحافظين الجدد قد شهدوا انتقالا تاما بـين جيلـين؛ ففي النصف الثاني من تسعينات القرن الماضي تولى روبـرت كاغـان ووليـام كريستول وريتشارد بيرل وبول وولفويتز، الأدوار القيادية التي كان يقوم بها كل من ناتان غيلازر وايرفينغ كريـستول ودانيـال باتريـك موينيهـان ونورمـان بودهوريتز (هالبر وكلارك 2005).

وقد شهدت هذه الحقبة تحولا في رؤية المحافظين الجـدد لقواعـد الجـدل المتعلق بالسياسة الخارجية الأمريكية، ليحل محل التهديد السوفييتي فكره أكبـر، وهي "قيادة أمريكية عالمية"، تتطلب "تحدي الأنظمة المعادية لمصالحنا وقيمنا.. وزيادة الإنفاق العسكري بشكل كبير.. وتقوية روابطنا بحلفائنا الـديموقراطيين.. وتقبل مسؤولية الدور الأمريكي الفريد في الحفاظ على نظام دولي مؤيـد لأمننـا وازدهارنا ومبادئنا.. واعتمـاد سياسـة خارجيـة تدخليـة لحمايـة المـصالح الأمريكية"(State Of Principles, PNAC, June, 1997,p2).

وقد ركز هذا الجيل من المحافظين على منطقة الـشرق الأوسـط كمنطقـة حيوية لمد النفوذ الأمريكي، وبدا ذلك واضحا في خطابات ورسائل الجيل الثـاني ودعواته إلى تغيير النظام العراقي. ومثال ذلك الخطاب الذي وجه من "مـشروع القرن الأمريكي الجديد" إلى رئيس مجلس النواب وزعيم الأغلبية فـي مجلـس الشيوخ، الذي يشير إلى أن " الطريقة الوحيدة لحماية الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من أسلحة الدمار الشامل هي وضع سياسات تؤدي إلى إزالـة صـدام

حسين ونظامه عن السلطة". كما أعلن مايكل ليدن أحد منظري المحافظين الجدد، في أوائل سنة 2003 لائحة بالأهداف المرغوبة، وهي حكومات يجب تغييرها وتضم العراق وإيران وسوريا والمملكة العربية السعودية وليبيا (هالبر وكلارك، 2005).

وتقوم آراء هذا الجيل على خمسة أفكار رئيسة هي (بيومي، 2005):

أ- إن قوة أمريكا العسكرية وسيطرتها غير المسبوقة على النظام الدولي، هي مصدر استقرار للنظام العالمي، وبالتالي فهم يؤمنون بالقيادة الأمريكية للعالم.

ب- الفكرة الثانية تعتمد على الأولى من حيث أن عدم استغلال الوضع الدولي الراهن لقيادة العالم سوف يؤدي إلى انهيار النظام العالمي وبالتالي الدخول في فوضى عالمية.

ج- ضرورة استخدام القوة العسكرية الأمريكية لصناعة نظام عالمي قائم على الهيمنة الأمريكية، لذا لا يجب النظر إلى القوة العسكرية كخيار أخير، بل هي في اعتقادهم أداة أساسية لتحقيق الأهداف الكبرى للولايات المتحدة.

د- الالتزام المطلق بدعم جهود التسلح وتطوير وتحديث القوات المسلحة الأمريكية.

هـ- رفضهم للساسة المترددين في استخدام القوة العسكرية للحفاظ على المصالح الأمريكية.

وفي نظرة مقارنة بين الجيلين، نرى أن الجيل الثاني من المحافظين الجدد يتمتع بنزعة أيديولوجية وجماهيرية أكبر من الجيل الأول، وذلك بالاستناد إلى سعة انتشار مجلة الجيل الثاني The Weekly Standard عكس مجلة الجيل الأول كومانتري، التي كانت محدودة الانتشار. هذا إضافة إلى انتشار كتاب الجيل الثاني في صحف مرموقة، وتمتعهم بمكانة أدبية بين القراء. علاوة على ذلك هناك فارق أساسي بين الجيلين يتمثل في أن الجيل الأول صعد في ظروف سياسية خيمت فيها أجواء عدم الثقة في القوة العسكرية الأمريكية والسياسيين

الأمريكيين عقب حرب فيتنام، لذا سعى الجيل الأول إلى إعادة الثقـة المفقـودة، ومحاربة الثقافة المضادة التي برزت داخل الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها، وهي الثقافة التي لا تؤمن بالقيم والنموذج الأمريكي والداعية إلى التركيز علـى السياسة الداخلية. أما الجيل الثاني فقد ظهر عقب انتصار أمريكـا فـي الحـرب الباردة وعودة ثقة الأمريكيين بجيشهم بعد عاصفة الصحراء، لذا تبنى هذا الجيل أهدافا مختلفة تركز على كيفية استخدام أمريكا لقوتها العسكرية لتحقيق أهـدافها وتشكيل العالم وفقا للرؤية الأمريكية.

3.2 الجذور الفكرية المؤسسة لنظرية المحافظين الجدد

إن التحول الذي طرأ على الاستراتيجية الأمريكية هو تعبير حي عن نجاح اليمين الأمريكي بـشقيه الـسياسي Neo-conservatives والـديني New Christian right، بالوصول إلى أعلى مؤسسات السلطة والحكم في الولايـات المتحـدة، وكلاهمـا معـروف بتطرفـه ونظرتـه الأيديولوجيـة للأمـور؛ فعلى مدى تاريخ الإدارة الأمريكية المتعاقبة لم يحدث أن وصل اليمـين ببعديـه السياسي والديني إلى المشاركة في السلطة في آن واحد. صحيح كانـت هنـاك تجربة سابقة خلال إدارة الرئيس ريجان، ولكن اليمين الديني كان يمـارس دوره آنذاك كجماعة ضغط من خارج السلطة، أو يقدم الدعم المطلـوب فيمـا يخـص المواقف المختلفة التي تتعرض لها إدارة ريجان، لذا فإن الظروف غير العاديـة التي رافقت انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 2000، والتشكيك الذي حدث فـي نتائج الانتخابات في بعض الولايات المتحدة، غطت على جوهر الحدث الذي يمثل نقطة تحول هامة ومؤثرة ليس فقط في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكيـة بـل والعالم كله. خاصة وأن الأيديولوجية اليمينية ببعديها الـسياسي والـديني لـديها تصورات تتجاوز حدود أمريكا إلى العالم في الحاضر والمستقبل معا. الأمر الذي جعل من الدين مكوناً رئيسياً من مكونات السياسة الخارجية الأمريكية، ما يعنـي عودة بالعلاقات الدولية إلى نظام ما قبل وستفاليا 1648 (التقرير الاسـتراتيجي العربي، 2003).

يقول ماكس بوت أحد أبرز المحافظين الجدد في مقابلة صحفية " إن ظاهرة المحافظين الجدد هي نوع مختلف من الويلسونية الأساسية التي عرفناها على مـر سني العمر، من حيث كون الويلسونية غير مؤسساتية ومن حيث أسسها القيميـة، وبدرجة ما إن القيم الأساسية لظاهرة المحافظين الجدد هي قيم تقليديـة وأصـولية مسيحية، ولو أننا رجعنا مائة عام إلى الوراء، فستتذكر أن حملة الويلسونية كانوا أشبه بمبشرين اعتبروا أن أفضل طريقة لجعل أميركا أكثر أمناً هي في جعل بقيـة العالم يفكر ويؤمن ويعتقد ويتصرف وفقاً للطريقة الأميركية في كل هذه الأحـوال، إلا أنهم في تلك المرحلة، لم يكونوا مهتمين بالإعداد المؤسساتي لهذا التوجه. لقـد أعاد المحافظون الجدد هذه الأيام، الحياة لهذه التعاليم الويلسونية القديمة؛ فتراهم لا يعيرون أدنى اهتمام للأمم المتحدة أو للمحكمة الدولية، وهو الأمر الذي غالباً مـا فكر به الويلسنيون. وفي الحقيقة، يعتقد المحافظون الجدد أن هناك أهدافاً تتحقـق، لكن اهتمامهم الأساسي ينصب على نشر القيم الأميركية" (ساينس مونيتور، 2005، ص3).

ومع أن الكثير من المحافظين الجدد يهـود، فـإن القـيم التـي يروجونهـا بروتستانتية الطابع، أي القيم والمبادئ المسيحية التي كانت سائدة في أميركا فـي القرن التاسع عشر. ويعتبر الاعتقاد بضرورة الهيمنة الأميركية على الـصعيدين العسكري والسياسي على العالم في فترة ما بعد الحرب الباردة العلامة المميـزة لتفكير المحافظين الجدد. وهذا التوجه قادهم إلى المطالبة بتخلي الولايات المتحدة عن العديد من الاتفاقيات والاتحادات الدولية، والى الضغط في اتجاه قيام الولايات المتحدة منفردة بشن الحرب على العراق (Wolfson, 2004). وبغض النظـر عن تأثر المحافظين الجدد أو إعجابهم بأفكار الرئيس ويلسون حول ضرورة نشر القيم الأمريكية، فقد قامت الأصول الفكرية المؤسسة لأفكـار ورؤى المحـافظين الجدد الاستراتيجية على قاعدتين فكريتين أساسيتين الأولى إستراتيجية مـستوحاة من الإستراتيجي الأمريكي ألبرت ولستيتر، والثانية فلـسفية تـستند إلـى الآراء الفلسفية للفيلسوف ليو شتراوس.

أولا:الأفكار المستوحاة من ألبرت ولستيتر

يقوم فكر ألبرت ولستيتر الاستراتيجي الأمريكي المعروف على مبدأين هما (فواز، 2004) :-

1- انتقاد استراتيجية التدمير المتبادل القائمة على مبدأ الردع، لأنها في رأيه غير فعاله وغير أخلاقية، ويقترح بدلا من ذلك استراتيجية جديدة تقوم على الردع التدريجي من خلال الحروب المحدودة.

2- انتقاد سياسة مراقبة التسلح لأنها تعطل الإبداع التكنولوجي عند الأمريكان، ولأنها ترمي إلى الموازنة الشكلية مع الاتحاد السوفييتي حيث كان ولستيتر من الداعين والمساهمين في تطوير قدرة الولايات المتحدة على خوض الحروب عالية التقنية، من خلال فكرته حول تعديل أنظمة الإيصال في صواريخ كروز المصممة لحمل الأسلحة النووية، لتحمل حمولات تقليدية، وكذلك فكرته حول الحصول على تكنولوجيا تقلل الأضرار الجانبية في حين تعظم القدرة على توجيه الضربات (هالبر وكلارك، 2005).

وقد تأثر المحافظون الجدد وإدارة الرئيس ريغان بفكر ولستيتر الأمر الذي دفعها إلى إطلاق مشروع حرب النجوم. كما تأثر تلامذة ولستيتر بهذا الفكر وكانوا وراء تبني سياسة الدفاع المضاد للصواريخ، ووراء إلغاء معاهدة الحد من الصواريخ البالستية ABM الموقعة عام 1972 مع الاتحاد السوفييتي (فواز، 2004). كما كان لولستيتر أهمية هائلة بالنسبة للمحافظين الجدد ودور مهم في نضجهم الفكري، وذلك لأهمية المفاهيم والفكر الإستراتيجي الذي كان يتمتع به؛ حيث كان من أوائل من أدركوا الاختلاف الدراماتيكي الذي يحدثه امتلاك الأسلحة الدقيقة، وهو الأمر الذي يعني في نظر المحافظين الجدد امتلاك القدرة على التدخل في شتى بقاع العالم، وبالتالي العمل على تحقيق رؤيتهم المتعلقة بالدور الأمريكي في العالم (هالبر وكلارك، 2005).

ثانيا:الأفكار المستوحاة من ليو شتراوس

ولد شتراوس في مدينة كيرشهاين في منطقة هيس الألمانية عام 1899، وكان من اليهود النشطين داخل الدوائر الصهيونية التصحيحية بقيادة فلاديمير

جابوتنسكي في العشرينات من القرن الماضي. وفي الوقـت نفـسه كـان مـن المتحمسين لأفكار الحقوقي النازي كارل شميت، الذي سوغ انقلاب أدولف هتلـر عقب حريق الرايخستاغ عام 1933، وبرر الاستبداد الهتلري. وكارل شميت هو الذي أوفد ليو شتراوس لمواصلة دراساته العليا في لندن وباريس ومن ثـم إلـى الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة من مؤسسة روكفلر، ومن ثم أصبح أسـتاذا للفلسفة في جامعة شيكاغو، وبقي مقيما في الولايات المتحدة حتى وفاته في مدينة أنابوليس في ولاية ميرلاند عام 1973 (الشعيبي،2004).

وهكذا بعد أن رسم ألبرت ولستيتر البعد الاستراتيجي الذي يعيش عليه الجيل الثاني من المحافظين الجدد، كان لفلسفة ليو شتراوس أن رسمت الأساس النظري له، وخصوصا في ما يتعلق بنظرته إلـى الديموقراطيـة؛ يقـول شـتراوس أن الديموقراطية يجب أن تكون قوية لدرجة كافية لتستطيع معها الوقوف في وجـه الطغيان، وهي النقطة التي يفهمها المحافظون الجدد اليوم بطريقة تبـرر وجهـة نظرهم الرامية إلى أن تستخدم الولايات المتحدة قوتها من أجل نشر الديموقراطية والوقوف بوجه الإرهاب (الشعيبي،2004).

كما يستوحي المحافظون الجدد من ليو شتراوس فكرتـه حـول الأنظمـة السياسية، والتي يقسمها إلى أنظمة جيدة وأخرى فاسدة، ويجب علـى الأنظمـة الجيدة أن تدافع عن نفسها في مواجهة الأنظمة الفاسدة. من هنا يمكـن ملاحظـة انسجام هذه الفكرة مع فكرة "محور الشر" ودعوة المحافظين الجدد إلى نشر القيم الأمريكية، ومحاربة وتغيير الأنظمة الفاسدة وتكريس القيم الأمريكية بهدف تعزيز الأمن والسلام في الولايات المتحدة وضمان السيادة الأمريكية (فواز، 2004).

وهنا يأتي مفهوم السيادة مختلفا عما هو متعارف عليه في العلـوم الـسياسية والعلاقات الدولية، فهو يعني ضـمن رؤيـة المحـافظين الجـدد ومـشروعهم الإمبراطوري " تحقيق واستبقاء سيادة أمريكية عالمية تستبعد ظهور قوى أخرى منافسة في المستقبل، بحيث تتمكن الولايات المتحدة بفضل هذه السيادة من تشكيل قواعد الأمن العالمي، علـى مثـال المبـادئ والمـصالح الأمريكيـة، وتكـون الاستراتيجية العليا للولايات المتحدة مسؤولة عن هـذه الـسيادة..، وأن تكـون

مستعدة للقتال بحزم وتحقيق النصر في مواجهات متزامنة على ميادين متعددة في نفس الوقت، بحيث تستوفي كل مواجهة على أي ميدان حقها وكأنها ميدان القتال والنصر الوحيد، ونقطة الارتكاز في الجهد الأمريكي الجديد هي منطقة الـشرق الأوسط والخليج"(هيكل، 2004، ص 333**)**.

وكانت هذه الأفكار وغيرها من نتاج تلامذة شتراوس، الذين وجدوا لهم مكانا في العديد من لجان مجلس الشيوخ ومقاعد التدريس فـي الجامعـات والمواقـع المؤثرة في السياسة والرأي العام، في انتظار اللحظة التاريخية الحاسـمة التـي تسمح لهم بتنفيذ أجندتهم، ومن أبرز أتباع شتراوس من المحافظين نذكر: جـون بودهوريتز محرر صفحة الرأي في صحيفة "نيويورك بوسـت" التـي يملكهـا مردوخ، والمحرر السابق لمجلة " ذا ويكلي ستاندرد" وهو أيضا سـليل الجيـل الأول من المحافظين الجدد، فهو ابن نورمان بودهوريتز وميدج دكتـر، ومـنهم أيضا قاضي محكمة العدل العليا كلارنس توماس، ووزير العدل جون أشكروفت، ولويس سكوتر ليبي مستشار الأمن القومي لدى نائب الرئيس تشيني. ومنهم أيضا ابرام شولسكي، وغاري شميت المدير التنفيذي لمشروع القرن الأمريكي الجديـد بقيادة كريستول، و ديفيد بروك وهو محرر في مجلة "ذا ويكلـي سـتاندرد"، و فيرنر دانها وزر الذي اضطلع بمسؤولية رئاسة تحرير مجلة "كومـانتري" بعـد تقاعد نورمان بودهوريتز. وكذلك منهم روبرت كاغان ابن دونالد كاغان الأستاذ الجامعي في جامعة ييل ومن أتباع شتراوس أيضا (شتاينبيرغ، 2003).

وعلى الرغم من التأييد الشعبي الواسع الذي حصلت عليه الإدارة الأمريكية وأجندة المحافظين الجدد عقب أحداث الحادي عشر من سـبتمبر 2001، إلا أن هذا لا يعني عدم وجود معارضة للنهج المحافظ الجديد؛ فقد ظهـر معارضـون أمريكيون كثر للمحافظين الجدد من الأكاديميين ومن السياسيين، وعلـى رأسـهم انتوني كدسمان خبيـر الـشؤون الاسـتراتيجية بمركـز الدراسـات الدوليـة والاستراتيجية بواشنطن، والذي قال بأن الخطاب السياسي للمحافظين الجدد هـو وهم خطير، خاصة فيما يتعلق بالشرق الأوسط. كما كان مـن بـين الـسياسيين المعارضين للمحافظين الجدد أعضاء في الكونجرس الأمريكي، منهم رون بول.

فالمحافظين الجدد ليسوا قوة سياسية بذاتهم، بقدر ما هم قوة سياسـية بـالظروف السياسية التي تتاح لهم وبالرئيس الذي يستمع إليهم ويتعاون معهم وينفـذ بعـض خططهم، فتأثير المحافظين الجدد يقوى ويـضعف حـسب الظـروف الدوليـة والإقليمية (النابلسي، 2004).

ومن ناحية أخرى، فقد طرحت دراسة صادرة عن مركز التقـدم الأمريكـي Center for American Progress ما سمي باستراتيجية "القـوة المتكاملـة" integrated power. وتعرف الدراسة "القوة المتكاملة" بأنها استراتيجية متعددة الجوانب، تذهب إلى ما وراء مفاهيم الأمن القومي التقليدية حول القوة الناعمة و القوة الصلبة، وتدمج القوى الكثيرة والمتنوعة للولايات المتحدة وتساعد على نشر القيم الأمريكية عبر العالم. وتدعو الدراسة إلى إلقاء التقسيمات الزائفـة الـسائدة جانبا، وتوحيد الأفكار والأنشطة المتباينة وتوحيد قوى العولمة ضد قوى التجزئة، والعمل من خلال التحالفات الدولية وليس العمل العـسكري الانفـرادي. وتفنـد الدراسة كل الافتراضات التي بنت عليها إدارة بوش استراتيجيتها للأمن القـومي في الفترة الأولى. وفي انتقاد لفكر المحافظين الجدد الأيـديولوجي واسـتراتيجية الأمن القومي لعام2002، تؤكد الدراسة أن واجب القادة الأمريكيين هـو التقـدم باستراتيجية للأمن القومي تقوم على أحكام واقعية والواقع وليس على ما يرغبـه بعض الأيديولوجيين، وعلى الاستراتيجية أن تعكس الحقائق المعقدة وليس رؤيـة مبسطة وساذجة تـرى العـالم علـى أنـه أبـيض وأسـود (Lawrence & Boortin,2005).

كما دعا تقرير صادر من معهد المجتمع المفتوح بالاشتراك مع معهد الأمـن والسلام، بعنوان "استعادة القيادة الأمريكية" إلى العودة إلى المجتمع الدولي كسبيل لاستعادة القيادة الأمريكية مؤكدا أنه لا يمكن التعاطي مع قضايا الأمن القومي من خلال رؤية أمريكية أحادية، لأنه لا يمكن التعامل مع أي من التحديات الحرجـة للأمن القومي الأمريكي بالعمل الانفرادي وحده أو من خلال تحالفات الـراغبين، وإنما من خلال الأحلاف العالمية التي يمكن أن تساعد على تقوية أهداف الأمـن القومي. ودعا هذا التقرير إلى مكافحة الإرهاب العالمي من خلال منظمة واحـدة

متعددة الأطراف مفتوحة لأي دولة صدقت على معاهدات مكافحـة الإرهـاب. وكذلك دعا التقرير الرئيس بوش إلى إعادة التأكيد علانية على دور الأمم المتحدة في محاربة الإرهاب وتطبيق اتفاقيات جنيف والاتفاقيـات المناهـضة للتعـذيب والتوقيع على اتفاقية المحكمة الجنائية الدولية (سلامة، 2006).

4.2 ارتباط المحافظين الجدد بالصهيونية المسيحية:

في البداية لا بد من الإشارة إلى أنه لا يجوز الخلط بين المحـافظين الجـدد، والمسيحيين الأصوليين أو التمامية البروتستانتية فجميعها تيارات منفصلة (فواز، 2004)، إلا أن بعض الذين تناولوا هذا الشأن وقعوا في هذا الخطأ وأطلقوا اسـم اليمين المتطرف على الأجنحة الفاعلة في السياسة الخارجية الأمريكية في الإدارة الحالية دون التمييز بين مكونات هذا اليمين المتطرف؛ فاليمين المتطرف ينقـسم إلى شقين: الأول يمين سياسي علماني يمثله المحافظون الجدد، والثاني يمين ديني متطرف تمثله الأصولية المسيحية أو ما يعرف بالصهيونية المسيحية.

وتعرف الصهيونية المسيحية بأنها التيار المسيحي الذي آمن بحق عـودة اليهود إلى أرض الميعاد (أي فلسطين)، ومحاولة دعم هذا الحـق بكـل الـسبل المادية والمعنوية (مبيضين وتيم، 2004)، كما تعرف بأنها حركة قومية تعمـل من أجل عودة الشعب اليهودي إلـى فلـسطين وسـيادة اليهـود علـى الأرض (جرجور،2003).

وتعود جذور هذه الحركة إلى تغلغل الديانة اليهودية ومعتقداتها مـع بدايـة هجرة الأوروبيين إلى الولايات المتحدة منذ القرن السابع العـشر، حيـث حمـل هؤلاء المهاجرون معهم التقاليد والقنا عات التوراتية وتفسيرات العهد القديم التي انتشرت في أوروبا، وتحديدا في إنكلترا في القرن السادس عشر، وكان أول كتاب ينشر في "العالم الجديد" –الولايات المتحدة- يهوديا بعنوان Paypsalem وهـو ترجمة لسفر المزامير(الحسن، 2004).

وقد أثرت هذه التعاليم والتقاليد التوراتية كثيرا في المجتمع الأمريكي المتدين باعتبار التوراة جزء من الكتاب المقدس، حيث آمنوا بضرورة عودة اليهود إلـى

فلسطين. فدعا العديد من القساوسة أمثال جون ماكدونالد وليفي بارسوتر ووردر غريسون ووليام بلاكستون الملقب بأبي الصهيونية، إلى ضرورة عودة اليهود إلى أرض صهيون وذلك عام 1814. كما قام العديد مـن الأصـوليين المـسيحيين الأمريكان بالاستيطان في فلسطين من عام 1850، وقام القس آدم بقيادة أكثر من 150 رجل دين مسيحي من ولاية ماين Maine للاستيطان في فلسطين، و يعتبر الرئيس الأمريكي جون آدمز (1767-1848) أول رئيس أمريكي ينادي بعـودة اليهود إلى فلسطين وإقامة حكومة مستقلة (الحسن، 2004).

وقد تبنى هذه الرؤى في الولايات المتحدة المسيحيون البروتستانت، وباعتبار أن غالبية الشعب الأمريكي تدين بالبروتستانتية، فقد آمن جل الشعب الأمريكـي بنبوءات العهد القديم، ومنها أن إقامة دولة لليهود في فلسطين سوف يكون مقدمة لعودة السيد المسيح عليه الـسلام (شـاكر، 1997)، لـذلك فـإن البروتـستانت الأمريكيين – 76.754.009 مليون شخص حـسب إحـصاءات عـام 1982- يعتقدون بضرورة الإسهام في تحقيق هذه النبوءة اليهودية، وكانوا أول من أقـام مستعمرات في فلسطين، أي أنهم سبـــــقوا روتـشيلد – اللـورد "ليونيـل روتشيلد" (1937/1868م) زعيم الطائفـة اليهوديـة فـي إنجلتـرا- والوكالـة اليهوديـة والصندوق القومـي لليهود (زكريا، 2004).

وخلال رحلة البحث عن التنظيم والانتشار فقد اسـتعان اليمـين المـسيحي باللوبي الصهيوني وخبرته في التنظيم وإجادته للعبة ممارسة الضغوط وتوظيـف المصالح، وهو ما عزز الروابط المشتركة بـين اليمـين المـسيحي المتطـرف والصهيونية داخل الولايات المتحدة، وهي الروابط التي تستند إلى ثلاثة مبـادئ أساسية هي (سليمان، 2005) :-

أ- الأيمان بعودة المسيح وبأن تلك العودة مشروطة بقيام دولة إسرائيل.

ب- إن قيام دولة إسرائيل لن يتحقق إلا بتجمع اليهود في فلسطين.

ج- إن شريعة الله –التوراة- هي التي يجب أن تطبق على اليهـود فـي فلسطين بوصفهم شعب الله المختار.

ومع مرور الوقت استطاع اليمين المسيحي أن ينشئ العديد من الروابط والمؤسسات والمدارس الدينية في الولايات المتحدة وصولاً إلى عام 1942 وهو العام الذي يعتبر نقطة تحول أساسية في تاريخ هذا الاتجاه، حيث تأسست الرابطة الوطنية للإنجيليين National association Of Evangelicals، وهو الكيان التنظيمي الذي يضم تحت لوائه آلاف التجمعات الأصولية في أمريكا، مما يعد نقله نوعيه لسببين: الأول انتقال التحرك البروتستانتي من الحركة إلى المؤسسية، والسبب الثاني الانتقال من الطبيعة الأخلاقية إلى المؤسسية التي يمكن أن تلعب دوراً سياسياً (التقرير الاستراتيجي العربي، 2002-2003).

وبالفعل فقد أصبح اليمين المسيحي أو الأصولية الإنجيلية فاعلاً قوياً على الصعيد الداخلي في النواحي الاجتماعية والثقافية، وذلك بعد أن اكتسب الصفة المؤسسية التي مكنته من القدرة على التأثير والضغط، وخصوصا على السلطتين التشريعية والتنفيذية، والانخراط في شبكة واسعة من العلاقات مع الاقتصاديين والسياسيين (مرقص، 2002). كما أنشأ اليمين المسيحي العديد من الكنائس التلفزيونية أو البرامج الدينية المتلفزة، التي تبث عبر محطات تلفزة يملكها هذا الاتجاه؛ فوصل عددها عام 1982 إلى ألف محطة ومنظمة تنتج برامج دينية مقرؤة ومسموعة، وأصبحت الحركة المسيحية الأصولية تسيطر على معظم محطات الكنيسة المرئية والمسموعة في الولايات المتحدة؛ حيث يتلقى اثنان من نجوم هذه المحطات جيري فالويل (زعيم منظمة الأغلبية الأخلاقية) وبات روبرتسون (زعيم الائتلاف المسيحي) أموالا أكثر مما يتلقاه الحزبان الرئيسيان في الولايات المتحدة وهما الحزب الديموقراطي والحزب الجمهوري (الحسن، 2004).

وهكذا استطاعت الأصولية الإنجيلية أن تتجذر بشكل عميق في المجتمع الأمريكي وجمهور الناخبين، حتى أن إحدى منظمات هذه الحركة وهي منظمة "الإنجيلية الأخلاقية" استطاعت تسجيل مليونين ونصف مليون ناخب لصالح الرئيس ريغان في انتخابات عام 1980 (الحسن، 2004)، وهو العام الذي برز فيه اليمين المسيحي باعتباره المجموعة الأشد نفوذا وتأثيرا داخل الحزب

الجمهوري (فرسون، 2004)، حيث يشكل جماعات مهيمنة داخل فروع الحـزب في 18 ولاية أمريكية، وجماعات ذات وزن كبير في 13 ولاية أخـرى. وقـد برهنت حملة جورج بوش الانتخابية على أهمية اليمين المسيحي فـي انتخابـات البيت الأبيض، حيث أن أصوات هذا الاتجاه هي التي رجحت كفة بـوش علـى منافسه آل غور داخل ولاية فلوريدا التي ينتمي إليها الأخير (فرسون، 2004).

وبعد أن حقق اليمين المسيحي تقدما على صعيد التنظيم المؤسسي، وبعـد أن انخرط في العملية السياسية، ونتيجة لاتساع القاعدة الجماهيرية لهذا الاتجاه، فقـد أصبح لاعبا أساسيا في الحياة السياسية الأمريكية، بحيث لا يستطيع أي طامح إلى الرئاسة أن يتجاهله، كما لا يـستطيع أي سياسـي أو حـزب تجاهـل التـأثير الجماهيري الواسع له. فقد لعبت شبكة اليمين المسيحي دورا هاما في انتصارات الجمهوريين في الكونغرس عام 1944، وفي الفترات التمهيدية لحملات 1996 و 2000. وهو يشكل الآن عنصرا مؤسسا، وفي بعض الأحيان سمة غالبـة فـي ائتلاف الحزب، وصولا إلى الهوية الجماعية لليمين المسيحي، التي تطورت مـن هويات دينية طائفية في أوائل الثمانينات، إلى هوية مؤيدة للعائلة، ومن ثـم إلـى العصر الحالي " عصر الجمهوريين الإنجيليين " (أولدفيد، 2003، ص3).

لقد شكل تيار الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة على الـدوام رافـدا استندت إليه الصهيونية في تحقيق مشروعها وفي تشكيل مجموعات ضغط تعمل لمصلحة "إسرائيل"، بل وفي كسب قطاع واسـع مـن الأوسـاط البروتـستانتية الأصولية في أمريكا وعلى أعلى المستويات وإذا كانت الـصهيونية المـسيحية تبرز الآن كقوة محركة ودافعة للسياسة الخارجية الأمريكية، الرامية إلى الهيمنـة وبناء الإمبراطورية تحت شعار محاربة لإرهاب أو غيرها من الـشعارات بعـد وصول أركانها إلى السلطة. فالحقيقة أن تيار الصهيونية المسيحية موجـود منـذ سنوات طويلة وبدرجات مختلفة في مراكز صنع القرار الأمريكي، وبالذات ابتداء من وصول المحافظين الجدد إلى الحكم في الولايات المتحدة في عهد حكم الرئيس رونالد ريجان عام 1980 (إدريس، 2004).

وقد أسس هذا اليمين برامجه السياسية والاجتماعية والثقافية على مبادئ دينية خطيرة، وشكل مع قوى الصهيونية المسيحية تحالفات وثيقة. كما لعبت القوى الصهيونية المسيحية دوراً رئيسياً في صياغة الأبعاد الأيديولوجية والتصورات الفلسفية والأخلاقية لقوى اليمين المحافظ، كما أمدته بعناصر وكفاءات بشرية بارزة، وساندته بمؤسساتها ومنظماتها المختلفة بحيث أضحى أبرز مفكري هذا اليمين المحافظ يعبرون عن جوهر المنطلقات الفكرية لتيار الصهيونية المسيحية، وأخذوا يوظفون هذه المنطلقات في صياغة الفكر الاستراتيجي الحاكم في الولايات المتحدة، كما يتجلى الآن في عهد الرئيس جورج بوش (إدريس، 2004).

ومن ناحية أخرى، يلاحظ وجود قاسم مشترك ما بين الفكر الصهيوني اليهودي والفكر الصهيوني المسيحي، من حيث اعتبار القوة بمثابة الطريق لتحقيق الغايات السياسية أو اللاهوتية، وكلاهما يتحدث عن الإبادة والغزو والحرب النووية. كما يتشابه مضمون الخطاب الصهيوني لدى اليهودية والمسيحية المتهودة، من حيث تبرير الاستيطان عقائدياً واستخدام التطهير العرقي لسكان الأرض الأصليين، وامتلاك الشرعية المستمدة أو المبررة من فهم حرفي للتوراة (إدريس، 2004).

لذلك ونتيجة للخلفية العقائدية والفكرية المشتركة، ومن خلال المسيرة التنظيمية والسياسية لليمين المسيحي المتطرف ممثلا بالصهيونية المسيحية واليمين السياسي المحافظ ممثلا بالمحافظين الجدد، فقد بدأت الروابط المشتركة بين الجناحين بالتشكل، حيث بدأ التحالف بينهما منذ أوائل الثمانينات من القرن العشرين، وذلك بعد أن أعلن الرئيس ريغان تأييده للأجندة الأخلاقية لليمين المسيحي (مبيضين وتيم، 2004).

فقد بنى المحافظون الجدد برامجهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على مبادئ دينية، وصارت الحركة المسيحية الأصولية جزء منه. كما تأسست بين قادة الفريقين داخل الحزب الجمهوري علاقات أسفرت عن تأسيس جمعيات ومنظمات ومراكز بحث سياسية ضمت يهودا وكاثوليك وبروتستانت،

وشملت رجال الدين والأعمال والمفكـرين والاسـتراتيجيين. وهـذه الحركـات والمنظمات تعمل وفق مبادئ وأيديولوجية الحركة الصهيونية المـسيحية، وقـد شكلت مسألة دعم إسرائيل حجر الأساس في صلب توجهاتها (الحسن، 2004).

كما تعتبر فكرة نهاية التاريخ ومجيء المـسيح المحـارب مـشتركة بـين المحافظين الجدد واليمين المسيحي (مبيضين وتيم، 2004)، إضافة إلى إيمـانهم بأن أمريكا هي دولة ذات رسالة يجب أن تؤديها، وهي الرسـالة المتمثلـة فـي محاربة الشر، وهو الموقف الذي يؤيده الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، كما بدا واضحا من خلال العديد من الخطابات التي ألقاها منذ وصـوله إلـى البيـت الأبيض.

الفصل الثالث

تأثير نظرية المحافظين الجدد على بعض مضامين السياسة الخارجية الأمريكية

لقد شهدت الفترة الأولى لإدارة الرئيس جورج بوش وبتأثير مباشـر مـن جماعة المحافظين الجدد؛ تحولا مهما في المفاهيم والأفكار المتعلقة بالأمن القومي الأمريكي وبعض المضامين التي كان لها تأثيرها فـي أنظمـة عمـل مختلـف المؤسسات والأجهزة الأمريكية المعنية بـالأمن القـومي. فقـد اتخـذت الإدارة الأمريكية من أحداث 11 سبتمبر 2001 قوة دفع رئيسية لتطوير تلك المفـاهيم، حيث ظهر ما سمي بـ "عقيدة بوش" أو "مبدأ بوش"، الذي تأسس في جوهره على مفهوم "الحرب الإستباقية"، مما أدى إلى تصاعد الأهمية النـسبية لـدور وزارة الدفاع على حساب وزارة الخارجية، وتقديم القوة المسلحة على الدبلوماسية، وهو ما انعكس بوضوح في تقلص دور رمز وزارة الخارجية خلال تلـك المرحلـة (كولن بأول) لمصلحة رمز وزارة الدفاع (دونالـد رامـسفيلد)، وتزايـد نفـوذ المحافظين الجدد من المدنيين في وزارة الدفاع مقابل تراجع نفوذ المعتدلين داخل وزارة الخارجية (سلامة، 2006).

فلقد استثمرت إدارة الرئيس جورج بوش أحداث نيويورك وواشنطن من أجـل الانطلاق بمجموعة المشاريع التي تحقق هـدف الحـرب، وهـو إقامـة بنـاء الإمبراطورية الأمريكية العالمية. وهو الهدف الذي جرى التعبير عنه بوضوح تام في مقولات أمريكية كثيرة، وكان من المتوقع أن تتحول منطقة الخليج بخاصة، وأقاليم الوطن العربي الإسلامي بصورة عامة مسرحاً رئيساً للحرب الأمريكيـة القادمة، والتي تريد منها أمريكا ضمان هيمنتها المباشـرة علـى مركـز الثقـل والتوازن العالمي الذي تشكله الأقاليم العربية والإسلامية، ممـا يـسمح بالتـالي بتطويق وحصار أوروبا وروسيا والصين والهند وحتى الدول الأقل خطراً علـى المصالح الأمريكية والحليفة مثل: اليابان، وباكستان ومناطق جنوب شرق آسـيا. وهذا ما أكّدته مشاريع الإدارة الأمريكية في إعادة التنظـيم العـالمي لقواعـدها

العسكرية في أوروبا وآسيا وفي كل مكان من العالم. وهو الأمر الذي أدى إلى أن تنحو السياسة الخارجية الأمريكية نحو السلوك الإمبراطوري (العسيلي، 2004).

سنتحدث هنا عن بعض هذه المفاهيم والمضامين التي أدخلتها نظرية المحافظين الجدد على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية في عدة مباحث، وكما يلي:

1.3 نظرية المحافظين الجدد وفلسفة الفوضى البناءة

بداية لا بد من الإشارة إلى انه لا يمكن فهم الجوهر والمغزى الفعلي لنظرية (الفوضى البناءة) دون ربطها بالتحولات الجذرية التي شهدتها السياسة والاستراتيجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، وهذا يستدعي عرضا مكثفا لأبرز معالم هذه الاستراتيجية، فهي تتضمن (ياسر، 2005):

أ- الانفراد بالتفوق العسكري المطلق بما يحقق السيطرة الاستراتيجية الكاملة. فجوهر العقيدة العسكرية الجديدة لا يتضمن فقط إحداث ما يسمى بـ "الثورة في المسائل العسكرية"، بل توظيف هذه التقنيات الجديدة لتحقيق " تفوق نوعي على الخصم " يتيح ضمان مبدأ " السيطرة الاستراتيجية " المطلقة.

ب- التخلي عن " استراتيجية الردع والاحتواء " التي حكمت السياسة الأمريكية إبان "الحرب الباردة " وتبني استراتيجية " الهجوم الاستباقي "، مما يعد تحولا مهما في الفكر الاستراتيجي الأمريكي، وهي الفكرة التي تعتبر محورا من محاور مبدأ بوش.

ج- صياغة تعريف جديد للأخطار التي على الولايات المتحدة مواجهتها، وفي مقدمتها الإرهاب.

د- توظيف المفاهيم والشعارات الإيديولوجية واعتمادها كأدوات أساسية في خدمة الاستراتيجية الأمريكية في الخارج.

ه- استكمال بناء أدوات السيطرة العسكرية على مراكز الطاقة في العالم بدأً من الشرق الأوسط وصولا إلى نفط آسيا الوسطى، مما يمنح الولايات المتحدة الأمريكية القدرة على التحكم في السياسة العالمية عبر الهيمنة الاقتصادية.

لقد وجدت هذه النظرية ديناميتها الفعلية بعد زلزال الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001، وهي تقوم على فلسفة سياسية تفترض وجود خطر داهم من عدو مجهول يتهدد الأمن القومي الأميركي في كل لحظة. كما تقوم على افتراض ألا يكون التهديد بالضرورة حاصلاً بالفعل من دولة أو من منظمة إرهابية لكي تخاض ضده الحرب الوقائية، وإنما يكفي أن يتم تصوره من جانب مراكز التخطيط الإستراتيجي في البيت الأبيض والبنتاغون للمبادرة إلى تلك الحرب، ولعل نظرية الفوضى البناءة التي شكلت إحدى أهم وأبرز منجزات المحافظين الجدد، إنما تعني في حقيقتها السعي الاستباقي نحو تفكيك كل المواقع والجغرافيات المفترض أنها تشكل مصادر تهديد لأمن ومصالح أميركا في العالم. وهذه النظرية تتأسس نظريا على ثنائية التفكيك والتركيب(حيدر، 2005).

إن أول من قام بصياغة مفهوم الفوضى البناءة هو مايكل ليدن العضو البارز في معهد أمريكان إنتربرايز، وهو أحد أصحاب النفوذ في دائرة المحافظين الجدد، وأحد أبرز الذين يعهد إليهم المركز بوضع التصورات وكذلك الخطط التفصيلية، التي تبني عليها أحيانا السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط. كما ارتبط اسم ليدن "بمشروع التغيير الكامل في الشرق الأوسط "، الذي يشمل إجراء "إصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية " شاملة في كل دول المنطقة. وتعود الخلفية النظرية لهذا المفهوم إلى محاولة ترتيب أفكار ومعتقدات المحافظين الجدد وآبائهم الفكريين، وعلى رأسهم "ليو شتراوس"، المدافع عن الفلسفة الكلاسيكية ومنطلقاتها الأخلاقية، والداعي إلى الدفاع عن مصالحها بالقوة، مع أفكار أخرى لعل أهمها مقولة " فجوة الاستقرار " عند صموئيل هنتنجتون صاحب نظرية "صدام الحضارات " في معالجته للتنمية السياسية. وهذه الفجوة حسب هنتنجتون تولد إحباطا ونقمة في أوساط المجتمع مما يعمل على زعزعة الاستقرار السياسي(ياسر، 2005).

فالإحباط الاجتماعي يولد المزيد من أللاستقرار إذا ما انعدمت الحرية الاجتماعية والاقتصادية، وافتقدت مؤسسات النظام القدرة والقابلية على التكيف الإيجابي، لأن الإحباط ومشاعر الاحتقان التي تزيد هذه الفجوة، يتمخض عنها

مطالب ليست سهلة للوهلة الأولى، وأحياناً غير متوقعة، تفرض على مؤسسات النظام التكيف من خلال توسيع المشاركة السياسية واستيعاب هذه المطالب، أما إذا كانت هذه المؤسسات محكومة بالنظرة الأحادية، فإنه سيكون من الصعب الاستجابة لهذه المطالب إلا بالمزيد من الفوضى (ياسر، 2005).

وعلى ذلك فإن نظرية " الفوضى البناءة " تعني التدخل الأميركي أو الدولي المباشر أو غير المباشر في نظام إقليمي غير مستقر أو دولة ذات نظام حكم ديكتاتوري أو شمولي، بهدف خلق البيئة المناسبة لإحداث هزة عنيفة بمقومات هذا النظام أو الدولة، تكون قادرة، بفعل التداعي الذاتي للأحداث أو بفعل تطبيق نظرية الدومينو، على جعل أركانه تتقوض أو تتفكك، ما يعطي الفرصة لبروز قوى حقيقية لم يكن يسمح لها من قبل بالظهور أو الوجود على الخريطة السياسية. تلك الهزة تكون كافية لإظهار الخريطة الحقيقية لحجم طوائف المجتمع وأعراقه وملله، بحيث تفرز نظاماً سياسياً جديداً يتصف بالواقعية ويعطي الفئات المهمشة حقوقها، ويكون في الوقت نفسه، أكثر تقبلاً للتوجهات الخارجية الساعية إلى أن تأخذ الدولة الجديدة بالقيم الليبرالية الحديثة (السيد، 2005).

وخلال المساعي التطبيقية لتلك الاستراتيجية توالدت مفاهيم عديدة، حيث يواصل المحافظون الجدد جهودهم لتطبيق نظرية الفوضى البناءة بهدف إعادة رسم الخريطة الجغرافية والسياسية في منطقة الشرق الأوسط، لتكون بمثابة نموذج يطبق فيما بعد على المناطق الأخرى. إن إشاعة هذا المصطلح على نطاق واسع يؤكد أن المرحلة الثانية من الاستراتيجية الكونية للمحافظين الجدد، تحولت إلى خطة يتم الشروع في تنفيذها بالفعل على أرض الواقع، تحت شعار "الحرب على الإرهاب" ، و "الحرب على الاستبداد ونشر الديمقراطية" بهدف إسقاط " أنظمة الاستبداد "، وإدخال إصلاحات سياسية بعيدة المدى في هذه الأنظمة، عبر الاستخدام المكثف للقوة العسكرية والاحتلال الفعلي للدول المستهدفة، إضافة إلى استخدام الوسائل غير العسكرية دون استبعاد كلي للقوة العسكرية (حيدر، 2005).

وقد أجرى البروفسور توماس بارنيت أحد أهم المحاضرين الرئيسيين في وزارة الدفاع الأمريكية منذ سبتمبر2001 بعض التطويرات على نظرية الفوضى

البناءة ، حيث لخص رؤيته لما كان يعرضه في البنتاجون فـي دراسـته التـي أعطاها عنوان " **خريطة البنتاجون** " المنشورة عام2004 .فالنظرية التي يتناولها بارنيت تقسم العالم إلى من هم في القلب أو المركز ـ ويعني بهم الولايات المتحدة وحلفاءها في الغرب ـ أما الآخرون فهم من سماهم دول الفجوة أو الثقب، ويقول بارنيت أنهم مثل ثقب الأوزون، الذي لم يكن ظاهرا قبل الحـادي عـشر مـن سبتمبر2001، لكن الآن لم يعد ممكنا أن يغيبوا عن النظر، وتضم دول الفجوة أو الثقب بحسب بارنيت، الدول المصابة بالحكم الاستبدادي والأمراض والفقر والقتل الجماعي الروتيني والنزاعات المزمنة التي تصبح بمثابة مزارع لتفـريخ الجيـل القادم من "الإرهابيين "(بارنيت، 2005).

ويوضح بارنيت أن استراتيجية الأمن القومي للولايـات المتحـدة يجـب أن تتضمن زيادة قدرة (دول القلب) على الرد على اضـطرابات النظـام الـدولي، والعمل مع (دول القلب) على ردع أسوأ صادرات دول الثقـب مثـل الإرهـاب والمخدرات والأوبئة. ويحدد بارنيت الشرق الأوسـط كمنطقـة للبـدء بتطبيـق الاستراتيجية الجديدة، ويصل البروفسور بارنيت إلى حالة الفوضى البناءة حيـث يتصور شكلا معينا لإمكان حدوثها من نوع الانهيار الكبير أو التفكـك الإقليمـي (بارنيت، 2005).

وحسب خطة الاستراتيجية الجديدة التي يقترحها بارنيت يأتي التدخل المباشر من قوة خارجية في حالة حدوث الفوضى، حيث يقول بارنيت أن الشيء الوحيد الذي سيغير المناخ الشرير ويفتح الباب لفيضان التغييـر هـو أن تتـدخل قـوة خارجــــية -والولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي يمكنها ذلك- ويحـسم بارنيت النقاش بقوله إن هدف هذه الاستراتيجية هو انكماش الثقب وليس مجـرد احتوائه. إن الاهتمام الواسع الذي تلاقيه نظرية الفوضى البناءة عائد إلى أنها لـم تعد مجرد طرح نظري فقط ولكنها استراتيجية يجري تنفيذها فعلا، انطلاقا مـن إيمان عقائدي عميق -لدى من يصنعون السياسة الخارجية الأمريكية- يقوم على فكرة مضمونها أن التغيير في حد ذاته لا يكفي وأن الأوضاع الداخلية في المنطقة وثقافتها تحتاج تحولا شاملا. ومن هنا كان ولع المنظرين الاستراتيجيين هـؤلاء

بمفاهيم من قبيل " التدمير الخلاق " و " الفوضى البناءة "، انطلاقـا مـن فكـرة قوامها أن الوضع الحالي في منطقة الشرق الأوسط " ليس مستقراً " وإن الفوضى التي تفرزها عملية "التحول الديمقراطي " في البداية هي مـن نـوع " الفوضـى الخلاقة " التي ربما تنتج في النهاية وضعاً أفضل مما تعيشه المنطقة حالياً، ممـا يكشف عن تدبير ملموس للتدخل المباشر في شؤون المنطقة، علاوة عن التأكيـد على أحد معالم الاستراتيجية الأمريكية لتحقيق "الإصلاح الداخلي والـديمقراطي" في منطقة الشرق الأوسط، حيث أن الشأن الداخلي لم يعد شأنا داخليا وفق تعريف جديد يجعل من التغيير في الداخل أمر يخدم الأمن القـومي للولايـات المتحـدة ويزيل التهديدات، مع الحفاظ على هدفين أساسيين يقعان في صلب الاسـتراتيجية الأميركية، وهما ضمان الهيمنة على موارد الطاقة، وممارسة سيطرة متعاظمـة على الكرة الأرضية، عن طريق تفكيك المنطقة لإعادة بنائها ورسم خريطة جديدة لها تتطابق مع مصالح الولايات المتحدة ودورهـا الجديـد علـى الـصعـيد العالمي(بارنيت، 2005).

لقد أوضحت العديد من الوثائق التي صاغها المحـافظون الجـدد ماهيـة النظرية التي يحاولون تطبيقها. فقد جاء في وثيقة التخطيط الـدفاعي Defense Planning Guidance الصادرة عـام 1992، أن علـى الولايـات المتحـدة الأمريكية السعي إلى الاحتفاظ بتفوق عسكري مهما كان الثمن، والحيلولـة دون ظهور أي قوة كبرى منافسه، ومنع انتشار أسلحة الـدمار الـشامل، وأن تكـون الولايات المتحدة على أهبة الاستعداد لاستخدام القوة الإستباقية إذا لزم الأمر، كما جاء في وثائق مـشروع القـرن الأمريكـي الجديـد Project for the New American Century انه يجب على الولايات المتحدة الأمريكية التخلي عـن التحالفات الثابتة لأنها تقيد الحرية، وبناء تحالفات عائمة تعالج كل حالة على حدة، وبهذه الطريقة لن تكون أمريكا ملزمة أمام حلفائها، كما تحـتفظ لنفـسها بحـق التصرف بمفردها بما لديها من قوة عسكرية، وتدعي لنفسها حق القيام بـضربة استباقية تمنع حدوث الهجمات وتصون حريـة الوصـول إلـى المـواد الخـام

الاستراتيجية (النفط). وما يثير في هذا الصدد تطبيق إدارة بوش الحرفية لما جاء في هذه الوثائق (هارفي، 2004).

وهناك طروحات مشابهة، منها ما جاء في الوثيقة التي أعـدها ريتـشارد بيرل ودوغلاس فيث عام 1996 مع مجموعة من المحافظين الجدد وتم تقـديمها إلى حكومة بنيـامين نتنيـاهو، وكانـت بعنـوان Aclean Break: A New strategy For Securing The Realm، والتي دعت آنذاك إلى التخلي عـن اتفاقيات أوسلو وإسقاط النظام العراقي والسوري، وإعادة تقسيم المنطقة وطمـس هويتها بما يمهد لإقامة إسرائيل الكبرى. وكانت معظم أفكار هذه الوثيقة مـأخوذة من وثيقة أخرى طرحها أوديد يانون Oded Yinon في مجلة الحركة الصهيونية عام 1982 تحت عنـوان A Strategy For Israel In The 1980s وكانـت تدعو صراحة إلى تقسيم الشرق الأوسط (البرصان، 2006).

وغير بعيد عن ذلك ما طرحه رالف بيترز Ralph Peters في مجلة القوات المسلحة Armed Forces Journal عدد تموز 2006، تحت عنوان "حدود الدم" Blood Borders، حيث دعا إلى وضع خرائط جديدة لمنطقة الشرق الأوسـط، تقسم المنطقة حسب التوزيع الأثني والعرقي والديني، مفترضا أن الحـدود بـين الدول غير مكتملة وغير نهائية وخاصة في أفريقيا والشرق الأوسط، الذي قسمه الأوروبيون قسمة خطرة أدت إلى وضع بعض القوميات على جانبي الحدود فـي أكثر من بلد، الأمر الذي أدى من وجهة نظره إلى تناحر بعض القوميات، والـى ممارسة التمييز ضد الأقليات القومية والدينية والاثنية، داعيا إلى لم شـمل هـذه القوميات على أساس الدين والقومية في دولة واحـدة لخلـق التوافـق وصـنع الاستقرار في هذه المنطقة. وحسب تصور بيترز فإن الدول المستهدفة بالتقـسيم والاستقطاع هي إيران، العراق، تركيا، السعودية، باكستان، سوريا، والإمارات. أما الدول التي ستتوسع فهي اليمن، الأردن، وأفغانستان، حيـث ستنـشأ ثـلاث دويلات من تقسيم العراق هـي كردستان، سنيستان، وشيعستان (انظر الملحـق رقم 1)، وسيتم إنشاء دولة بلوشستان الجديدة من اقتطاع أراضي الجزء الجنوبي الغربي لباكستان والجزء الجنوبي الشرقي من إيران التي ستفقد أيضا أجزاء منها

لصالح الدولة الكردية، وأخرى لصالح الدولة الشيعية العربية، وأجـزاء أخـرى أيضا لصالح أذربيجان الموحدة، وستحصل على أجزاء من أفغانستان لتكوين دولة فارسية. أما أفغانستان فسوف تفقد جزء من أراضيها الغربيـة لـصالح الدولـة الفارسية، وستحصل على أجزاء من باكستان وتعاد إليها منطقة القبائـل، بينمـا ستعاني السعودية أكبر قدر من التقسيم حيث ستقسم إلى دولتين دولة ديـنية " الدولة الإسلامية المقدسة " على غرار الفاتيكـان، ودولـة سياسـية "الـسعودية" وسيقتطع منها أجزاء تمنح لليمن والأردن(Peters ،2006).

2.3 عقيدة بوش(الحرب الإستباقية وأثرها على السياسة الخارجية الأمريكية).

لقد احتل مفهوم العقيدة قسما كبيرا مـن الخطـاب الـسياسي الإسـتراتيجي الأميركي ولا يزال، فقد أطلق الرئيس مونرو عقيدته عـام 1823 حـذر فيهـا الأوروبيين من التدخل في العالم الجديد. وفي العام 1947 أطلق الرئيس هـاري ترومان عقيدته في خطاب ألقاه في الكونغرس، وقامت هذه العقيدة علـى دعـم الدول الحرة التي ترفض الإذعان للضغوط الخارجية. وفي العـام 1965 أطلـق الرئيس جونسون عقيدته المتعلقة بأميركا اللاتينية، وهدفت إلى مساعدة الأنظمـة الصديقة والتي تتقاطع مصالحها مع مصالح واشنطن، وإلـى محاربـة التـأثير الشيوعي في القارة الجنوبية. وقد شكل سقوط الشاه عـام 1979 قلقـاً لـلإدارة الأميركية، تبعه غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، الأمر الذي جعل منطقة الخليج على مرمى القوات السوفيتية، فأطلق الرئيس كارتر عقيدته عام 1980 حذر فيها أي قوة من محاولة السيطرة على الخليج العربي، لأن الأمر سيعني وكأنه تهديـد للمصالح الحيوية الأميركية وقد يكون الرد عليه عسكريا(حنا، 2006). وأخيـرا أطلق بوش الابن عقيدته المتعلقة بالحرب الكبرى على الإرهاب في الخطاب الذي ألقاه أمام طلبة الأكاديمية العسكرية الأميركية في ويست بوينت عام 2002وهـو الخطاب الذي حمل الخطوط العريضة للإستراتيجية المستقبلية التـي سـتعتمدها أميركا لدرء خطر الإرهاب عنها. فقد أعلن موت المفاهيم القديمة التي قامت على الردع والاحتواء، فأعداء الأمس أصبحوا أصدقاء اليوم والصورة الجيوستراتيجية قد تبدلت جذريا، كما أن المعاهدات التي كانت ترعى النظام العالمي السابق لـم

تعد قائمة، حتى إنها لم تعد صالحة للوقت الحالي. فقـــد ورد فـــي خطـاب الـرئيس بـوش سالف الذكـر، الأمور التالية (حنا، 2006) :

1- تحديد دور الولايات المتحدة الجديد، فهي راعية للسلم العالمي، وسوف تفرض الوضوح الأخلاقي بين الخير والشر، وسوف تقيم علاقات تعاون ممتازة مـع القوى الكبرى.
2- سوف تعتمد أميركا الضربات الاستباقية متفردة في الزمان والمكـان اللـذين تراهما مناسبين.
3- اعتبر بوش أن العقلانية غير متوفرة لدى العدو الجديد، لـذلك لا تنفـع معـه الإستراتيجيات القديمة خاصة الردع.
4- استعداد أميركا لمساعدة أية دولة في محاربة هذا الإرهاب.

ومن خلال ما ورد أعلاه نستنتج وجود اتجاهين في الإستراتيجية الأميركية الحالية:

الأول: هجومي يقوم على الضربات الاستباقية تقررها أميركا منفردة إذا ما دعت الحاجة، وتستند هذه الإستراتيجية الهجومية الوقائية على قواعد عسكرية أمريكية منتشرة من الفلبين وحتى أوروبا مرورا بآسيا الوسطى والشرق الأوسط.

الثاني: دفاعي يتمثل بالدفاع السلبي عن الداخل الأميركي، وذلـك عبـر منـع حصول أية حادثة إرهابية في الداخل. ومن هنا كـان مـشروع إنـشاء وزارة الداخلية، وبناء شبكة الصواريخ المضادة، وإصدار القوانين التي تـشرع لعمـل الأجهزة الجديدة وتسمح لها بمزيد من التدخل فـي الحيـاة الخاصـة للـشعب الأميركي(حنا، 2006).

ويمثل مبدأ "الحرب الإستباقية" أو ما أسـمي بــ "عقيـدة بـوش" عمـاد استراتيجية الأمن القومي لإدارة بوش في الفترة الأولى، وهو من أكثر المبـادئ التي ثار بشأنها الجدل، وذلك لأن هذا المبدأ طـرح خـلال حربـي أفغانـستان والعراق. وقد تم شن الحربين كعمل أمريكي انفرادي، مما أصبغ مبدأ بوش بطابع هجومي وبتفسير أحادي لمصادر التهديد (سلامة،2006).

وقد فرق جون لويس جاديس John Lewis Gaddis بـين "الاسـتباق" pre-emption و"الإجهاض" prevention؛ على أساس أن الإجهاض يعنـي القيـام بعمل عسكري ضد دولة على وشك شن هجوم، أما الاستباق فيعني بدء الحـرب ضد دولة قد تفرض مثل هذه الأخطار عند مرحلة مستقبلية محددة. ويرى جاديس أن الجديد هو دمج إدارة بوش بين المفهومين، فكان التمييز القديم بين "الاستباق" و"الإجهاض" أحد ضحايا الحادي عشر من سبتمبر 2001. ويؤكد أن هذا المبـدأ وجد ليبقى وأن الاستباق والإجهاض سيظلان قائمين في فترة بوش الثانية، ولكنه دعا إلى مزيد من الإقناع، لأن تدعيم النفوذ لا يستلزم القوة فقط ولكـن يـستلزم أيضا غياب المقاومة، وما يعنيه ذلك – طبقا لجاديس - أن إدارة بـوش الثانيـة سوف تحاول مرة ثانية وثالثة الحصول على دعم متعدد الأطراف للاسـتخدام الإسـتباقي للقوة المسلحة الأمريكية (Gaddis, 2005).

غير أن الرئيس بوش كان واضحا في خطابه عن حالة الاتحاد فـي عـام 2002 حين أكد عزمه على العمل منفردا أو مع حلف تقوده الولايـات المتحـدة عندما يمتنع المجتمع الدولي عن مواجهة تهديدات قائمة، عندما قال: "لن أنتظـر في خدمة الأحداث بينما تتجمع الأخطار، لـن أقف مـكتوف الأيـدي بينـما يـقترب الخطر أكثر وأكثر" (wright, 2004). وقد اندفع الرئيس بوش إلى ذلك تحت تأثير قناعات راسخة في واشنطن لدى المحافظين الجدد الذين يعتقدون بأن الشرعية يجب أن تنتصر بأثر رجعي، بدلا من أن تدفع بقرار من مجلس الأمن، ورؤيتهم هي أن إدارة بوش تلعب دور "المهيمن الخير"، الذي يقدم السلع العامـة التي لا يستطيع تقديمها باقي المجتمع الدولي (Fukuyama ,2005) . وقد وجـد هذا التفكير من يدعو له ويؤصله؛ فوجـد محللـون يقولـون إن الاسـتراتيجية (الأحادية) التي اتبعها بوش خلال ولايته الأولى تشكل عودة إلى المعيار، بينمـا تعد السياسات التعددية التي انتهجها عدد من الرؤساء الأمريكـان تبـدو بمثابـة خروج على القاعدة (ترتريه، 2005).

أن مبدأ الأحادية أو العمل الأحادي في عقيدة بوش من أهم الجوانـب التـي تثير الخلاف على المستوى الدولي. فمنذ البداية لم تطرح الإدارة التخلـي عـن

الأحلاف أو العمل خارج التحالفات كمنهج في القيادة الدولية، وإنما أعلنت أنها ستقوم بتفعيل تلك التحالفات حين تعتقد أهمية تفعيلها، وطبقا لرؤاها الخاصة وتصوراتها للتهديد. ولكن بشروعها بغزو العراق دون قرار من مجلس الأمن، ظهر التحرك الأمريكي كعمل انفرادي، وربما يكون الجانب الأهم هو رؤية الإدارة الأمريكية لطبيعة التحالفات المطلوبة فيما يتعلق بالحرب على الإرهاب. فرؤية وزارة الدفاع تحديدا في هذا الصدد، وفي مقال له بعد أحداث 11 سبتمبر بشهرين ونصف الشهر بعنوان "نمط جديد من الحرب"، تحدث وزير الدفاع السابق رامسفيلد عن طبيعة الأحلاف المطلوبة في الحرب على الإرهاب، مؤكدا أن: "هذه الحرب لن يشنها تحالف كبير موحد في الهدف المحدد بإلحاق الهزيمة بمحور قوى معادية، وبدلا من ذلك ستشمل تحالفات عائمة متبدلة لدول عدة يمكن أن تتغير وتتخذ أشكالا مختلفة. وفي هذه الحرب ستقوم المهمة بتحديد التحالف وليس العكس" (رامسفيلد، 2001،ص2).

وتتمحور عقيدة بوش الاستراتيجية حول ثلاث محاور أساسية هي :-

1- استباق التهديدات الخارجية بشن الحرب.

2- نشر المبادئ الأمريكية في العالم بما يؤدي إلى تغيير الأنظمة التي لا تتناسب مع هذه المثل.

3- تطوير القدرة الأمريكية لتبقى متفوقة بحيث لا تستطيع أية قوة أخرى أن تضاهيها، وهكذا تحل القوة محل السياسة والهيمنة محل الحوار وتتحول الدبلوماسية من اتصال بين الدول إلى أوامر تفرضها الولايات المتحدة.

و ذلك حسب وجهة النظر المحافظين الجدد التي تقوم على الانتقال من الردع إلى الاستباق، من خلال القيام بالضربة الأولى قبل أن تضرب الولايات المتحدة، ومن الاحتواء إلى تغيير الأنظمة، عن طريق فرض الديموقراطية سواء بالدبلوماسية أو بالقوة العسكرية، ومن الالتباس إلى القيادة بمواصلة بناء القوة الأمريكية ومنع قيام أية قوة معادلة لها، لان القوة هي العامل الحاسم في عملية القيادة، معتبرين أن البديل عن القوة الأمريكية وبالتالي القيادة الأمريكية للعالم هو الفوضى حيث يعتقدون بتفرد النظام السياسي الأمريكي الذي يسعى إلى السلام

العالمي عبر القوة الأمريكية لا عبر المؤسسات الدولية، وهو الأمر الـذي بـدا ممكنا بعد وقوع أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 (كابلان وكر يـستول، 2003). حيث يرفض المحافظون الجدد مقولة أن أحداث الحـادي عـشر مـن سبتمبر كانت نتيجة لسياسات الولايات المتحدة الخارجية وتدخلها فـي الـشؤون الدولية، بل على العكس يرون أنها نتاج لعدم تدخلها بشكل كاف لترتيب أوضـاع العالم. ويرتبط بذلك الاعتقاد بان هناك علاقة بين الأوضاع الداخلية فـي الـدول العربية والإسلامية وظهور التطرف الديني المرتبط بالإرهاب والذي أدى لإحداث هجمات 11 سبتمبر. ونتيجة لذلك يؤمن المحافظون الجدد بان الشؤون الداخليـة في البلدان العربية والإسلامية لم تعد شأنا داخليا لا يجوز التـدخل فيـه تحـت دعاوى السيادة الوطنية، بل للولايات المتحدة الحق فـي التـدخل فـي الـشؤون الداخلية لتلك البلدان لمنع ظهور تلك القوى التي أثرت على الداخل الأمريكي. أي انه لو لم تتدخل الولايات المتحدة لتغيير الداخل الإسلامي، فـان إفـرازات هـذا الداخل سوف تأتي للولايات المتحدة وتغيرها من الداخل (كمال، 2005).

وفي مقاربة فكرية لما تقدم فإن صعود الفكر المحافظ في الولايات المتحدة ووصوله إلى دوائر صنع القرار السياسي وانعكاسات ذلك على الصعيد الـدولي، إنما يعني تراجع الصراع الاجتماعي السياسي أي الصراع الطبقي أمام الصراع ألاثني الثقافي الذي أصبح يشكل الآن جوهر النظام العـالمي الجديـد. فرؤيـة المحافظين الجدد تقود إلى إنكار عالمية الحضارة، فهم يتجاهلون تاريخ الحضارة ومساهمات الشعوب كافة فيها، لأنهم يتعاملون مع قضايا الاختلاف والتماثل بـين المجتمعات الإنسانية والثقافات بمنطق متعال ينظر إلى الولايات المتحدة كحالـة استثنائية وحالة متفردة بين شعوب الأرض، فهم ينظرون إلى الذين يتماثلون معهم على أنهم لا يستحقون مثل هذا التماثل، والى الذين يختلفون عنهم على أنهم يجب أن يتحملوا عبء الاختلاف، فهم بحاجة دائمة إلى آخر ووجـود الآخـر يعنـي الحرب. كما يرى المحافظون الجدد في عزلة الولايات المتحدة ميزة وليست عبئا، فالمظاهرات التي تعم العالم ضد الولايات المتحدة، ووقوف العديد من دول العالم ضد السياسات الأمريكية في الأمم المتحدة ومجلس الأمن، كل ذلك ليس دلـيلا –

من وجهة نظرهم- على عجز أمريكا عن الإقناع أو خطأ في السياسة، بل هـو دليل على المكانة الخاصة التي تتمتع بها أمريكا (شاق، 2003).

وقد تركت هذه الأفكار تأثيرها الواضح والكبير على تفكير الرئيس الأمريكي بوش الابن، إلى درجة وصلت حد تبنيه هذه الأفكار جملة واحدة مـضيفا إليهـا نوعا من الخطاب الديني ليصل في النهاية إلى إعلان ما يسمى " بعقيدة بـوش "، التي هي عبارة عن جملة أفكار المحافظين الجدد، وقد كان ذلك بـسبب ضـحالة الخبرة السياسية للرئيس بوش وخاصة في شؤون السياسة الخارجية، وهو الأمـر الذي جعله تحت هيمنة المستشارين والوزراء في الإدارة الأمريكية وخاصة فـي البيت الأبيض ووزارة الدفاع الأمريكية التي يسيطر عليها التيار المحافظ الجديـد (البرصان، 2002).

فمجمل الأفكار التي تحدثت عنها عقيدة بـوش، سـبق وان تحـدث عنهـا المحافظون الجدد، فقد بدأت الدعوات إلى الحاجة إلى إمبريالية جديدة لمـساعدة "تعساء" العالم غير الغربي، بعد وقت قصير من المهمة الفاشلة في الصومال في بواكير حقبة الرئيس كلنتون. حيث كتب بول جونسون وهو بريطاني يقـيم فـي الولايات المتحدة أن الكولونيالية قد عادت وهي لم تتعجل فـي عودتهـا لحظـة واحدة، وحث بعض الكتاب الآخرين الولايـات المتحـدة علـى أن " تحتـضن الإمبراطورية "، وبالمثل ذهب ماكس بوت أحد كتاب المحافظين الجدد إلى تأييـد قضية " إقامة إمبراطورية أمريكية"، وجاءت هذه الدعوات بعد ظهور ما يـسمى بمفهوم " الدول الفاشلة "، التي اعتبر المنظرون أن ميراثهـا القـومي يمكـن أن يتحول إلى قاعدة لنشاط إجرامي مثل كولومبيا أو ملجأ آمنا لمنظمات إرهابيـة، وبحسب هذه الأيديولوجية الجديدة فان هناك حاجة لتدخل عسكري غربي في " الدول الفاشلة " و" تغيير أنظمة الحكم " في تلك البلدان وحماية الحكومات التـي تخلفها والتي يقيمها الغرب.وتزامن ذلك مع **تصاعد الحملـة** العنـصرية ضـد الإسلام، فقد علق جون آشكروفت المدعي العام آنذاك في مقابلة إذاعية أذيعت في تشرين ثاني عام 2001 قائلا " إن الإسلام دين يطلب فيه الله منك أن ترسل ابنك ليموت في سبيله، أما المسيحية فهي عقيدة يرسل فيها الرب ابنه ليموت من أجلك

"، إضافة إلى العديد من الدعوات غير الواقعية التي تـدعو إلـى "غـزو بـلاد المسلمين وقتل زعمائهم وتحويلهم إلى المسيحية" كما فعلت الكاتبة المحافظـة آن كولتر (فرسون، 2004، ص 196).

غير أن الجانب اللافت في الواقع السياسي الأمريكي هو السرعة التي تحولـت فيها أيديولوجية مناهضة الإرهاب والحملة ضد ما يسمى الدول المارقة إلى عقيدة رسمية وخطاب شعبي، بحيث أصبحت تميز كافة سياسـات وأفعـال الحكومـة الأمريكية، في حربها ضد الإرهاب وهي الحرب التي أعادت تعريف مصطلحات وقواعد الاشتباك في العلاقات الدولية بما يتطابق مع أولويـات واسـتراتيجيات واملاءات أمريكية أحادية. وهكذا استخدمت إدارة بوش هجمات 11 أيلول كلحظة تحول جديدة في التاريخ الأمريكي لإطلاق سياسة خارجية عدوانية جديـدة لهـا أغراض ونيات أوسع من مجرد الحرب على الإرهاب (فرسون، 2004).

كما ألقى ريتشارد هاس مدير مكتب التخطيط السياسي بـوزارة الخارجيـة الأمريكية خطابا في نيسان 2002 أشار فيه إلى أن حقبة ما بعد الحرب البـاردة شكلت تحديات جديدة فوق قومية وشكلت أيـضا تحـديات تقليديـة، ولـم تعـد الاستراتيجيات التقليدية الأقدم – استراتيجيات الدفاع والاحتواء والردع – كافيـة بعد الآن، واقترح مبدأ الإدماج موضحا أن الهدف الأساسي للـسياسة الخارجيـة الأمريكية في القرن الحادي والعشرين، هو إدماج بلدان ومنظمات أخـرى فـي الترتيبات التي ستدعم عالما يتفق مع المصالح والقيم الأمريكيـة، مـشيرا إلـى ضرورة العمل متعدد الأطراف إلا انه لم يستبعد العمل المنفرد ، معتبرا ذلك من ضمن حق الولايات المتحدة في الدفاع عن نفسها (هدسون، 2004).

ووفق عقيدة بوش تصرفت أمريكا على أساس أن العصر الأمريكي قد بدأ، فتجاهلت الأمم المتحدة، وقلصت دور مجلس الأمن الدولي، وأضـعفت مركـز الأمين العام، واستهانت بالمجموعات الدولية، وتحللت من اتفاقيات سبق الالتـزام بها، ولم تعط أي اهتمام حتى بحلفائها وأصدقائها، وتخلت كدولة عظمـى عـن مسؤولياتها، بل وفي حالات كثيرة أصبحت طرفا مشجعا على رفض الـشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة ومبادئ التعاون الدولي، حيث استخدمت ثروتهـا

وقوتها العسكرية ونفوذها السياسي وحق الفيتو في تهميش ما أجمع عليه المجتمع الدولي في أكثر من مناسبة (العيني، 2004).

إن الهدف الأساسي لمبدأ بوش ليس فقط إرساء هيمنـة الولايـات المتحـدة وأحقيتها بمركز الصدارة أو الإمبراطورية بسبب أن المقدرة العسكرية الأمريكية أنتجت ميلا لاستخدامها (عبد العظيم، 2004)، إنما هي تنوي أيضا إعادة تشكيل مناطق معينة في العالم طبقا لمصالحها، أي أنها ترمي إلى بسط هيمنـة دائمـة، عبر السعي إلـى منـع أي دولـة أو تحـالف مـن أن يـصبح قـوة عظمـى (Khalilzad,1995). وهكذا أكسبت إدارة بوش الإمبراطورية الأمريكية بعض الصفات التي اتسمت بها الإمبراطوريات تقليديا، ومن أهمها الاحـتلال المباشـر لأراضي الدول الأخرى، بالإضافة إلى الخطاب الرسـالي المعـروف تاريخيـا باستخدام الامبراطوريات له (الشوربجي، 2005).

فمنذ أن تسلمت إدارة بوش مسؤولياتها تبنت مجموعة من الـسياسات التـي تعكس في مجملها رؤية دينية محافظة تجاه القضايا التي تتعامل معها الولايـات المتحدة داخليا وخارجيا، وهو ما دفع المؤرخ الأمريكي آرثر شليـسنجر إلـى القول إن رئاسة جورج بوش أول رئاسة في تاريخ الولايات المتحدة تقوم علـى الأيمان. فإذا كان القرن العشرين قد شهد رؤساء من ذوي الإيمان العميـق مثـل ويلسون وكارتر وريغان فان هؤلاء لم يحاولوا الحكم على القضايا السياسية مـن منظور ديني، ولم يلجئوا إلى استغلال الدين لأهدافهم السياسية، أما إدارة بوش فقد شهدت قيام أول مؤسسة رئاسية أمريكية على أساس الدين في التاريخ الأمريكـي (عبد الشافي، 2005).

وقد كان من المتوقع أن تكون الساحة العربية هي ميدان التجريب لمثل هذه الاستراتيجيات، حيث كان البحث عن عدو استراتيجي هاجسا أمريكيا منذ اللحظة التي نكست فيها الأعلام السوفيتية في كل المحافل الدولية. فلقـد تابعـت جـين كيركباتريك مندوبة الولايات المتحدة السابقة في الأمم المتحدة هذا المشهد وقالت " أن العدو التالي هو الأصولية الإسلامية "، وظل هذا الرأي على طاولة البحث إلى أن أعلن الحلف الأطلسي في بيان له صدر في 21 شباط 1992 بان الأصـولية

الإسلامية هي العدو القادم للحلف، حيث أن الإسلام يملك مقومات سياسية شبيهة بالشيوعية ويسعى لمناهضة المشروع الرأسمالي الإمبريالي (الشطي، 2004).

غير أن هذه السياسة - التي تبلورت في سـياق ثقافـة سياسـية محافظـة وكونغرس يهيمن عليه المحافظون وإدارة من المحافظين الجدد، مما دفع بالسياسة الخارجية الأمريكية إلى اتجاهات أكثر عدوانية وبخاصة في الـشرق الأوسـط، وبشكل عازم على التدخل وإعادة تشكيل الخريطة السياسية للمنطقة وفق أهوائها – لم تمر دون انتقادات؛ ففي انتقاد حاد لهذه السياسة يقول الكاتب وليام غالستون: " إن استراتيجية عالمية مبنية على مبدأ بوش الجديد يعني نهاية نظام المؤسـسات والقوانين والأعراف الدولـية الـذي عمـلت الـولايات المتحدة على بنـاءه لأكثر من نصف قرن " (Galston,2002 ,p2).

إضافة إلى ما كتبه الكاتب والمحلل باتريك بيوكانان في مقالة له حيث قال:

"إن الإمبراطورية الأمريكية فارغة فليس لدينا في أي مكان ما يكفي من الجنـود للنهوض بالالتزامات الأمنية وضمانات الحرب التي وزعناها بغير حساب... وبدل أن تنزف الأمة وتفلس إلى ما لا نهاية علينا التخلي عن الإمبراطوريـة... علـى الأمريكيين أن يتعلموا كيف يهتمون بشؤونهم فقط والتوقـف عـن التـدخل فـي نزاعات الدول الأخرى، العراق لم يشكل قط تهديدا للولايات المتحـدة .. تـدخلنا الأحمق جعله يصبح كذلك" (بيوكانان، 2006، ص24).

كما أشار استطلاع رأي حديث لمركز "بيو" إلى تحول في الرأي العام نحو الانعزالية، فقد بلغت نسبة الأمريكيين الذين يقولون إن الولايات المتحدة يجب أن تهتم بشؤونها الخاصة حدا هو الأكبر منذ نهايـة حـرب فيتنـام، حيـث باتـت "المحافظية" الجديدة، مقرونة بشكل كبير بمفاهيم مثل التغيير القـسري للأنظمـة والأحادية والهيمنة الأميركية، فالمطلوب الآن هو أفكار جديدة حول كيفية إقامـة الولايات المتحدة علاقاتها مع بقية العالم، أفكارتحفظ الاعتقـاد بعالميـة حقـوق الإنسان، من دون أوهام حول فعالية القوة والهيمنة الأمـريكيتين. فقـد شـكلت الوقائية ضد التهديدات الإرهابية، والتي تضمنتها استراتيجية الأمن القومي للعـام 2002، مذهبا لا يمكن تعميمه على امتداد النظام الدولي؛ فأميركا ستكون أول من يعترض في ما لو أعلنت روسيا أو الصين أو الهند أو فرنسا عن حق مشابه في

التصرف الأحادي، حيث كانت الولايات المتحدة تسعى إلى فرض رأيهـا علـى الآخرين في وقت كانت غير راغبة في أن يكون سلوكها الخاص موضع تـساؤل في أماكن مثل المحكمة الجنائية الدولية. كما بات اختلال التوازن البنيـوي فـي القوة العالمية ضخما، حيث تجاوزت أميركا بقية العالم في أبعـاد القـوة كلهـا وبهامش لا سابق له، مع إنفاق عسكري يساوي مثيله في بقيـة العـالم مجتمعـا (فوكوياما، 2006).

3.3 نظرية المحافظين الجدد والبعد الأمني

إن تتبع مسيرة السياسة الخارجية الأمريكية وإستراتيجياتها المتعاقبة للعـالم منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى إدارة جورج بوش الابن، تظهـر الاسـتجابة لأمرين أساسيين:القوة المتنامية باطراد والمصالح التوسعية الإمبراطورية، ولذلك تراوحت السياسة الخارجية الأمريكية بين مبدأين هما مبدأ "القوة" المتمثل بمـنهج الرئيس تيودور روزفلت، ومبدأ "القيم الأمريكية" المتمثل بمنهج الـرئيس وودرو ويلسون. فبالنسبة للمبدأ للأول؛ الذي أرساه الرئيس روزفلت والذي أسماه سياسة "العصا الغليظة"، هي السياسة التي بررت حق الولايات المتحدة الأمريكيـة فـي ممارسة دور الشرطي في أمريكا اللاتينية، كانعكاس لمقدار القوة التـي بلغتهـا أمريكا. فروزفلت اعتبر أمريكا ليس فقط صاحبة رسالة كونية ولكنها أيضا قـوة عظمى وربما أعظم قوة، وبالتالي فان هذه الرسالة هي القـادرة علـى حراسـة وضبط العلاقات الدولية بحكم القوة التي بلغتها. أما بالنسبة للمبدأ الثـاني؛ الـذي جاء به الرئيس الأمريكي الأسبق وودرو ويلسون، والذي يتفق مع مبدأ ضـرورة أن تتمثل الأمم الأخرى بالقيم الأمريكية من خلال منظومة كونية. فالمبرر الـذي بموجبه وافق ويلسون على المشاركة في الحرب العالمية الأولـى، كـان إعـادة تشكيل العالم وفقا للصورة الأمريكية. فقد يبدو للوهلة الأولى أن هناك تناقضًا بين المبدأين، إلا أنه تناقض سطحي وليس جوهري، حيث لا يوجـد خـلاف علـى الهدف الإستراتيجي البعيد المتعلق بالسيادة الأمريكية الكونية، حيث أمريكا لـدى

ويلسون، أمة صاحبة رسالة، وإن كان هذا لا يمنع من ممارسة القـوة (حـسين، 2005).

غير أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 أظهرت الوجـه الحقيقـي للخطط الاستراتيجية الأمريكية لتعلن عن مرحلة جديدة للتعامل مع الواقع الدولي وخصوصا ما يتعلق بالعراق. وهذه الخطط في مجملها تعبر عن الفكر المحافظ الجديد؛ كمقال وزير الدفاع الأمريكي السابق دونالـد رامـسفيلد (الاسـتراتيجية الأمريكية: منع الحرب قبل اندلاعها) ، ففي قراءة متأنية لهذا المقـال نـرى أن رامسفيلد يتحدث عن تلك المرحلة الجديدة بقوله:

"وأننا في أمس الحاجة إلى إيجاد طرق جديدة في التفكير وأساليب مختلفـة فـي القتال، أكثر من احتياجنا إلى إيجاد أسلحة أكثر تطورا وتقدما" . ويقول في نفـس المقال: "فكما تعلمنا من أحداث سبتمبر المؤسفة، أصبحت تحديات القرن الجديـد مفتقدة لأية توقعات، بعكس القرن الماضي... إن التحدي الذي نواجهه فـي هـذا القرن الجديد إنما هو تحد صعب، بل في غاية الصعوبة، إنه يستلزم منـا الـدفاع عن بلادنا ضد كل ما هو غير معروف؛ ضد كل ما هو غير مضمون؛ ضد كل مـا هو غير مرئي؛ ضد كل ما هو غير متوقع" (Rumsfeld, 2002, pp 7-9).

ثم تحدث رامسفيلد عن الإستراتيجية الجديدة التي يجب العمل بها في الفترة الجديدة و الفرق بينها وبين الاستراتيجية القديمة، حيث يعتقد انه قبل أحـداث 11 سبتمبر، كان القادة الأمريكيون، سواء في المجال المدني أو العسكري، منخرطين في خطة "معهودة" للدفاع، ولكن في ظل مراجعة تقرير الدفاع الأمريكي الذي يتم إعداده كل أربع سنوات، بدأت النظرة إلى البيئة الأمنية أكثر إمعانا وتركيزا، وهو ما أوصل إلى ضرورة تبني إستراتيجية جديدة عبـر مـا يلـي (Rumsfeld, 2002):

1. الابتعاد عن منظومة "وجود قوتين أساسيتين على مسرح الحرب"، التي كانت تهدف إلى الحفاظ على قوتين تتمكنان من اقتحام دولتين عدوتين في لحظة واحدة. لانها تشكل تهديدا من حيث البقاء في وضع استعداد فوق اللزوم تجاه صـراعين محددين، دون الأخذ بعين الاعتبار التهديدات غير المتوقعة.

2. السيطرة على الموارد لقوة القطب الواحد، حيث يقول:

"ومن أجل ضمان توافر الموارد التي تؤهلنا للتأقلم مع المـستقبل، ومـن أجـل مواكبة التحديات الجديدة التي تهدد أمننا الداخلي، صرنا في أمس الحاجـة إلـى تقييم أكثر واقعية وأكثر اتزانًا لكل ما نحتاجه في حروبنا المستقبلية، فبـدلاً مـن الحفاظ على قوتين للاحتلال، قررنا أن نركز أكثر على آلية الـردع، كمـا قررنـا الاستغنـاء عن قـوة واحـدة من القوتين، حتى نوفر جهودنا ومواردنا "للآخـر" الـذي هو في طريقه إلى التربص بنا"(Rumsfeld,2002, p 9).

3. هجر الإستراتيجية القديمة القائمة على التهديد، والبدء في انتهاج اقتراب جديد قائم على "القدرات"، حيث يتصف الأخير بسياسة أقل تركيزًا على من يمكـن أن يهدد، أو أين، وأكثر تركيزًا على كيف يمكن أن يهدد، وكيف يمكن صده وردعه.

وبالختام يلخص رامسفيلد خطة البنتاغون في نظرته للأمن القومي الأمريكي باعتبار أن هناك تلازما بين الأمن في داخل أمريكا مع أمن مصالح أمريكا فـي خارجها و لا يمكن الفصل فيما بينها، وذلك من خـلال مـا يـسميه (الخطـة السداسية). فهو يقول "قبل الهجوم الإرهابي على نيويورك وواشنطن، كنـا قـد أخذنا في قرارة أنفسنا، أنه من أجل الحفاظ على السلام والدفاع عن الحرية يجب على وزارة دفاعنا أن تحقق ستة أهداف إلزامية" (Rumsfeld, 2002,p10):

1) حماية الداخل الأمريكي، وحماية القواعد في الخارج.
2) الإبقاء على مستوى القوات في الأماكن البعيدة.
3) إفهام العدو أنه ليس لديه مأوى يحميهم.
4) حماية الشبكات المعلوماتية من أي اختراق.
5) استخدام التكنولوجيا المعلوماتية لربط القوات الأمريكية المختلفة، وهـو مـا يؤهلها للقتال معًا في صف واحد.
6) الحفاظ على اتصال سهل وسلس بالفضاء الخارجي وحماية القدرات الفضائية من أي هجوم.

ومن الملاحظ أن إدارة جورج بوش جاءت إلى السلطة فـي بدايـة عـام 2001 بأفكار جديدة في مجال الدفاع والأمن القومي، وركـزت علـى إدخـال تعديلات هامة على استراتيجية الأمن القومي الأمريكي، حتى قبل وقوع هجمات 11أيلول / سبتمبر، وتركزت التعديلات بخاصة على ثلاثة مجالات رئيسة هي:

بناء القوات المسلحة، ودور القوة العسكرية في تحقيق أهداف الأمـن القـومي، وتحديد مصادر التهديد. وقد اندرجت معظم هذه التعديلات ضمن عملية المراجعة الدورية التي تتم كل أربع سنوات Quadrennial Review للسياسة الدفاعيـة الأمريكية، والتي كان النقاش السياسي والعسكري والعلمي قد اشتد بـشأنها منـذ أواخر تسعينيات القرن الماضي بعد انتفاء الحاجة لكثير من المرتكـزات التـي قامت عليها الأيديولوجيا الدفاعية الأميركية. لذا شهدت السياسة الدفاعية تحولات هامة، كمرتكز أساسي من مرتكزات استراتيجية الأمن القومي الأمريكي تمثلـت في (حسين، 2005):

1- التركيـز علـى زيـادة القـدرات العملاتيـة للقـوات المـسلحة، وذلك من خلال بناء جيش أخف وإدخال أفكار ومفاهيم قتالية جديدة، على اعتبار أن المؤسسة العسكرية الأمريكية مازالت منظمة لمواجهة تهديـدات الحرب الباردة، أكثر من مواجهة تحديات قرن جديد، ولذلك ركزت السياسة الدفاعية في بداية عهد بوش على تقليل الاستعداد لخوض حروب تقليديـة، في مقابل التركيز على التعامل مع أوضاع أكثر تعقيدا.

2ـ التركيز على برنامج الدفاع الصاروخي، وذلك بهدف مواجهـة التهديـدات والأخطار الناجمة عن اتساع نطاق الانتشار الصاروخي لدى الدول التـي تعتبرها الولايات المتحدة دولا "مارقة "، مثـل كوريـا الـشمالية وإيـران والعراق، التي أطلق عليها الرئيس الأمريكي اسم "محور الشر"، وذلك فـي ظل قناعة بأن هذا التهديد يعتبر الأكثر خطورة على الأمن القومي الأمريكي في المستقبل القريب.

3- إعطاء أهمية متميزة لمسرح العمليات في آسيا. وهذا يعني حدوث تغير جذري في السياسة الدفاعية الأمريكية التي ظلت تركز منذ نهاية الحرب العالميـة الثانية على مسرح العمليات الأوروبي بهدف منع اجتياح سـوفييتي لـدول غرب أوروبا أثناء الحرب الباردة.

وعندما وقعت هجمات 11 أيلول / سبتمبر، كانت خطة الإصلاح العسكري الأمريكي ما زالت في طور الإعداد، وقد أدت الهجمات إلى إعطـاء الأولويـة

المطلقة لأغراض الدفاع والأمن القومي، بما في ذلك الاستعداد لخـوض غمـار حرب طويلة ضد الإرهاب، وأصبح الدفاع يفوق في أهميتـه أهـداف الرفاهيـة الاقتصادية. وفى هذا الإطار، فإن هجمات 11 أيلول /سبتمبر أدت إلـى إعـادة تحديد الأمن القومي الأمريكي ولاسيما في مجـالات تعـديل مـصادر التهديـد واتجاهاته، وبدا واضحا التركيز على اعتبارات الـدفاع عـن العمـق الـداخلي وصيانته، ومراجعة أسس تشكيل القوات، والتأكيد علـى أهميـة برنامـج الدفاع المضاد للصواريخ، وعلى الشكل الآتي (حسين، 2005) :-

1- مصادر التهديد

أدت هجمات 11 أيلول / سبتمبر إلى تعديل مصادر ونوعية التهديد الذي يواجه الأمن القومي الأمريكي، إذ أكدت على أن التهديدات التي يتعـرض لهـا الأمن الداخلي للولايات المتحدة، من العمليات الإرهابية، تزيد في خطورتها عـن التهديدات الخارجية، هذا التوجه الذي استجد مع هجمات 11 أيلـول / سـبتمبر، أدى إلى إعطاء الإرهاب أهمية قصوى كمصدر للتهديد.

2- بناء القوات وتطوير المفاهيم القتالية

إن التهديدات الإرهابية التي عكستها الهجمات أكدت الحاجة إلى بناء قوات أخف وأكثر قدرة على الحركة، واكثر قدرة على خـوض هـذه النوعيـة مـن الصراعات غير التقليدية. وتنبع أهمية هذه المسألة مـن أن القـوات المـسلحة للولايات المتحدة ما تزال مبنية بالكامل بصورة تقليدية، بغرض الاستعداد لخوض الحروب النظامية التقليدية، وهو ما لا يتوافق مع طبيعة الحرب الجديـدة ضـد الإرهاب، والتي تعتبر حربا غير تقليدية، وتحتاج بالتالي إلى وسائل غير تقليديـة لخوضها.

3- برنامج درع الدفاع الصاروخي

لقد تم تعزيز التوجه نحو استكمال بناء هذا المشروع وذلك للتأكيـد علـى ضرورة بلورة سياسة شاملة لصيانة الأمن الداخلي في الولايات المتحدة، وأن من الضروري أن تضع هذه السياسة في اعتبارها امتلاك القدرة على التصدي لجميع أنواع التهديد في المستقبل، سواء بواسطة الطائرات الانتحاريـة أو الـصواريخ

الباليستية أو القوات التقليدية أو الهجمات الإرهابية، على أن يتم التحسب من احتمال أن تنجح الجماعات الإرهابية مستقبلا في امتلاك الصواريخ الباليستية.

4- الانتشار العسكري الأمريكي في الخارج

حيث تخلت إدارة بوش عن السياسة التي سبق تطبيقها منذ مطلع التسعينات بإخلاء العديد من القواعد العسكرية لاسيما في بعض الدول الآسيوية كالفلبين وتايلاند وتخفيض عدد القوات الأمريكية كما حدث في القواعد العسكرية في كوريا الجنوبية، وجرى تطبيق سياسة جديدة لبناء قواعد مختلفة لتمركز القوات الأمريكية انطلاقا من أفغانستان وعدد من دول آسيا الوسطى مثل أوزبكستان وقرغيزيا.

كما ركزت الإدارة الأمريكية في آن معا على شن حرب واسعة على الإرهاب على الساحة الدولية، والقيام بسلسلة من الإجراءات الداخلية التي لم يشهد الوضع الداخلي مثيلا له، وقد سعت جهود تعزيز الأمن الداخلي في الولايات المتحدة إلى تحقيق العديد من الأهداف، أبرزها الحيلولة دون وقوع المزيد من العمليات الإرهابية، باعتبار ذلك الهدف الأكثر إلحاحا أمام الإدارة، ومعالجة الثغرات التي كشفت عنها الهجمات. وقد تنوعت الإجراءات التي قامت بها الإدارة الأمريكية، عقب الهجمات بين نوعين رئيسيين (حسين، 2005):

الإجراء الأول، يتمثل في الإجراءات الأمنية العاجلة المتعلقة بتسيير دوريات جوية وبحرية مكثفة وتعزيز إجراءات الأمن في المطارات، وحماية البنية الأساسية الخاصة بالغذاء والمياه، وزيادة دوريات الشرطة حول خطوط البترول والغاز الطبيعي، وحماية البنية الأساسية في مجال المواصلات والطرق، وتخزين الأدوية والأمصال، وتأمين المنشآت الحيوية، ولاسيما المفاعلات النووية ومحطات الكهرباء الضخمة. أما الإجراء الثاني، فيتعلق بالإجراءات طويلة المدى الخاصة بتعزيز الأمن الداخلي وزيادة قدرة أجهزة الأمن الأمريكية في مجال مكافحة الإرهاب، وهو ما تمثل في تشكيل قيادة عسكرية جديدة للأمن الداخلي.

ويعتبر العديد من المراقبين والمهتمين بالـشأن الـدولي أن الاسـتراتيجية الأمريكية في بعدها الأمني قد فشلت، وتحديدا على المستوى الخـارجي لعـدة أسباب منها (حسين، 2006):-

أ- اعتماد إدارة بوش على استراتيجية للتعامل مع الصراعات لا تحظى بالإجمـاع سواء داخل الولايات المتحدة أو خارجها وخصوصا الدول الغربية التي تعتبـر مبدأ الحرب الوقائية لا يخدم النظام الرأسمالي ومصالحه الحيوية فـي المنطقـة العربية.

ب- تجاهل إدارة بوش لحلفاء الولايات المتحدة التقليديين في أوروبا مما ساهم فـي نشوء محور باريس برلين موسكو المعارض للـسياسات الأمريكيـة بـشأن العراق.

ج- اعتماد الولايات المتحدة على التظليل الإعلامي لتمريـر خططهـا وبرامجهـا العسكرية.

د- إصرار المجموعة المهيمنة على القرار داخل الإدارة الأمريكية على خـوض سلسلة من النزاعات في آن معا، وطرح مجموعة من الخطط التغيريـة علـى المستوى الدولي من غير أن تتوفر لديها الكفاءة والقدرة على إدارة صـراعات متعددة في وقت واحد.

هـ- الاستخدام المفرط للقوة في مواجهة قوى ضعيفة من الناحية العسكرية.

و- الربط بين الخطط العسكرية والمنافع الاقتصادية التي تعود في الغالـب علـى شركات لها صلة بكبار مسئولي البيت الأبيض ووزارة الدفاع.

وبالنظر إلى مجمل العملية السياسية التي تصنعها الإدارة الأمريكية الحالية ويقودها الرئيس جورج بوش سواء على الصعيد الخـارجي أو الـداخلي، فإننـا نلاحظ التأثير الواضح لأفكار المحافظين الجدد ونظريتهم الراميـة إلـى إقامـة الإمبراطورية الأمريكية، وتحقيق الهيمنة على النظام الدولي، عبر استخدام القوة وتغيير الخرائط وخصوصا في منطقة الشرق الأوسط، إضافة إلى ما أحدثته من تراجع واضح على مستوى الحريات الفردية، وعلى مستوى العملية الديموقراطية داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وهو الأمر الذي وضع الإدارة الأمريكية فـي

مأزق حرج أمام الرأي العام الأمريكي والدولي، وذلك بعد تدهور الحملة التي تقودها أمريكا ضد ما تسميه الإرهاب، وبعد تدهور وضعها العسكري الميداني في العراق، الذي وصفه مدير مكتب التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ريتشارد هاس قائلا، "أنه على الرغم من مرور ما يزيد على الثلاثين عاما على حرب فيتنام إلا إن العراق يشكل أكبر هزيمة استراتيجية لأمريكا وهذا لا يمكن تجنبه" (هاس، 2006، ص39)، مما أدى إلى ارتفاع أصوات النقد والمعارضة في أمريكا وحول العالم تطالب الولايات المتحدة بالرجوع عن سياسات فرض الهيمنة واستخدام القوة، حيث تدافعت مراكز الدراسات ومؤسسات الفكر والمحللين إلى وضع سيناريوهات جديدة للسياسة الأمريكية تساعدها على الخروج من مأزقها.

فقد أوضح التقرير الذي نشرته جامعة برنستون الأمريكية حول الاستراتيجية الوطنية للأمن القومي الأمريكي، ضرورة عدم الاعتماد على القوة العسكرية لفرض الهيمنة على العالم، بل استخدام مزيج من الحوافز السياسية والالتزام بالقانون الدولي، وطالب التقرير باتخاذ أربعة خطوات لتعزيز الأمن القومي: الخطوة الأولى التخلي عن فكرة خوض حرب عالمية ضد الأصولية الإسلامية، واللجوء إلى الأعمال الاستخبارية المنظمة. والخطوة الثانية تركز على بناء الديموقراطيات الليبرالية الحقيقية والتخلي عن أحلام بناء الديموقراطية في العراق. أما الخطوة الثالثة فهي بناء وقيادة المؤسسات العالمية مثل الأمم المتحدة وعدم التخلي عنها أو إضعاف قوتها، والمطالبة بتغييرات هائلة في مجلس الأمن عن طريق إضافة أعضاء جدد وهم ألمانيا واليابان وجنوب أفريقيا والبرازيل والهند، والتخلي عن حق النقض الفيتو للقرارات التي تتطلب عملا مباشرا ردا على الأزمات. أما الخطوة الرابعة فهي المطالبة بنظام اقتصادي ليبرالي حقيقي وعدم اللجوء إلى أنماط الحماية للاقتصاد الوطني. وفيما يتعلق بالشرق الأوسط فقد أكد التقرير على ثلاث نقاط أساسية هي :

1-حل الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي من خلال دولتين (إسرائيلية وفلسطينية) وإعطاء هذا الموضوع الأولوية في السياسة الخارجية الأمريكية.

2- رفض امتلاك إيران لسلاح نووي مع السماح لها بالحصول على طاقة نووية سلمية.

3- الحفاظ على أهداف التحول الديموقراطي في العراق، ومنع الحرب الأهلية والتأكيد على أهمية عدم انتشار الفوضى في العراق (وردم، 2006).

وهذا ما توصل إليه تقريبا تقرير بيكر– هاملتون الذي وصف الوضع بالعراق بالخطير والمتدهور، وأوصى بخفض الدعم السياسي والعسكري والاقتصادي المقدم إلى الحكومة العراقية، وأكد على أهمية التوصل إلى سلام شامل بين إسرائيل من جهة والفلسطينيين وسوريا ولبنان من جهة أخرى (بيكر– هاملتون، 2006).

وهو التقرير الذي أيده الأمريكيون؛ حيث أظهر استطلاع للرأي نشرته صحيفة U.S Today أن غالبية الأمريكيين يؤيدون توصيات لجنة بيكر الخاصة بسحب القوات الأمريكية من العراق، حيث أفاد الاستطلاع أن 74% من الأمريكيين يؤيد ذلك، في حين أعرب 71% عن ضرورة إجراء حوار مع سوريا وإيران، فيما اعتبر 76% أن على واشنطن الاهتمام بملف النزاع العربي الإسرائيلي، ورأى 64% من الذين استطلعت آراؤهم أن كلفة الحرب في العراق تتجاوز فوائدها، واعتبر 16% فقط أن الولايات المتحدة الأمريكية ستكسب الحرب فيما أكد 61% أن بلادهم لن تكسب الحرب (صحيفة الرأي، 2006). فيما أشار بريجينسكي مستشار الأمن القومي السابق في محاضرة ألقاها في الذكرى الثالثة للحرب على العراق، في مركز أمريكان بروغرس American progress حول الخطوات التي ينبغي للولايات المتحدة اتخاذها للخروج من مأزقها في العراق، أشار إلى أن ما يحدث في العراق جزء من صدام واسع ومتفاقم بين أميركا والعالم الإسلامي (بريجينسكي، 2006).

وعلى الرغم من الانتقادات الواسعة التي تواجهها الإدارة الأمريكية، إلا أنها تبدو غير عابئة بها، وبالعديد من التوصيات التي تأتيها، وذلك لعدة أسباب منها ما يتعلق بشخصية الرئيس وميوله واتجاهاته، ومنها ما يتعلق بأجندة المحافظين الجدد؛ فها هو الكاتب والأكاديمي حسن نافعة يقول:

"إن تنفيذ توصيات مجموعة بيكر وهاملتون بحسن نية يتطلب مـن إدارة بـوش تبني سياسات وبراغماتية تتناقض بطبيعتها مع بنية نظامها ألقيمي، وهو أمر لن يكون سهلا من جانب إدارة تفكر بطريقة عقائدية واضحة، فمن الصعب تصور أن يقتنع بوش بعرض حوافز على إيران التي تمثل في منظومته الإدراكيـة القيميـة ضلعا أساسيا من أضلاع محور الشر" (نافعه، 2006، ص39).

وكذلك فقد أشار الكاتبان هاريس وبومنت إلى:

"أنه على النقيض مما جاء في تقرير بيكر – هاملتون سـيقوم بـوش بإرسـال المزيد من القوات الأمريكية المقاتلة إلى العراق، و مـن المـرجح أن لا يحمـل المستقبل شيئا مختلفا عن العراق، فالقوات الأمريكية ستظل هناك لسنوات أخـرى والعنف سوف يتواصل دون هوادة، ولن تفلح الدبلوماسية الدوليـة فـي تحقيـق الكثير، ومن المؤكد أن لا يكون هناك تحول قوي في السياسة الأمريكيـة مـا دام بوش رئيسا للولايات المتحدة" (هاريس وبومنت، 2006، ص10).

الفصل الرابع

المحافظون الجدد والسياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر2001

لقد لعبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر دورا رئيسيا في تقديم أجندة المحافظين الجدد كخطة جاهزة للرد الفوري على الهجمات الإرهابية، حيث أطلقت الولايات المتحدة عقب هذه الأحداث حملتها التعبوية العسكرية الواسعة لدعم خياراتها في الحرب الوقائية كوسيلة للتحكم الشامل عن طريق إعادة ترتيب منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي، وتحقيق الطموح الإمبراطوري الأكثر اتساعا، وهي ذات الأهداف التي عبر عنها المحافظون الجدد في رؤيتهم للدور الأمريكي لقيادة العالم عبر التفوق العسكري المطلق. ونتيجة لهذه الأحداث وقع المجتمع الأمريكي في حالة من الهوس الأمني، وأثرت هذه الحالة بالضرورة على طبيعة المجتمع الأمريكي وسلوكه كمجتمع ديمقراطي مفتوح. كما أن أسلوب الإدارة الأمريكية في التعامل مع تداعيات الأحداث على الصعيد الداخلي انطوى على قدر كبير من العصف بمبادئ حقوق الإنسان والديمقراطية، ومما لا شك فيه أن 11 أيلول/ سبتمبر كان مفصلا تاريخيا في حياة الولايات المتحدة الأمريكية، وتكفي قراءة خريطة الانتشار الأميركي في العالم بعد هذا التاريخ لمعرفة ذلك. وسوف يتناول هذا الفصل موضوع المحافظين الجدد والسياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وذلك من خلال عدة مباحث وكما يلي:-

1.4 بدايات الرئيس جورج بوش الابن

لقد دخل الرئيس جورج بوش الابن إلى البيت الأبيض بعد معركة انتخابية هي الأكثر جدلا في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، حيث جاء دخوله إلى البيت الأبيض بعد سلسلة طويلة من الأحكام القضائية وتدخلات الكونغرس الذي بت في شرعية انتخاب بوش الابن بفارق 537 صوتا عن منافسه آل غور، الأمر الذي ترك الرئيس الجديد أمام سيل من الطروحات المشككة في شرعيته، وفي

قدرته على الإدارة، خصوصا وأنه لا يتمتع بالخبرة السياسية التي تؤهلـه لـذلك (مسعد، 2004).

فلقد كانت الخبرة العملية لبوش الابن اقتصادية نفطيـة، حيـث انحـصرت تجربته السياسية في إدارته الحملة الانتخابية لوالده في عـام 1987 ثـم حاكمـا لولاية تكساس، وهو الأمر الذي يفسر ضعف معرفتـه فـي الـشؤون الـسياسة الخارجية، حيث كان اهتمامه منصبا على الجانب الاقتصادي في مجـال تجـارة النفط وكان يملك شركة نفطية خاصة به هي شركة "أربستو" Arabosto. هـذا الضعف السياسي إضافة إلى حالة التشكيك بشرعيته وشعبيته هي التـي ستفـسر لاحقا التناقضات التي ميزت السياسة الخارجية الأمريكية في بدايات حكم بـوش الابن، حيث أعلن أثناء حملته الانتخابية عن عزمه إتباع سياسة متواضـعة فـي الشأن الخارجي، وهو الأمر الذي أثبتت الوقائع عكسه تماما؛ حيث سلكت السياسة الخارجية الأمريكية اتجاها نشطا تجاه عدد من القضايا مثل البرنامج النـووي الكوري، وتجمـيد الانفتاح على الصين، وعدم الانسحاب من البلقـان، إضـافة لقضية العراق وأفغانستان والتشدد إزاء الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفـات (مسعد، 2004).

وهو ابن الرئيس الأمريكي الواحد والأربعين جورج هربرت ووكر بـوش، وهو ثاني ابن رئيس يتقلد الرئاسة الأمريكية بعد الرئيس الأمريكي السادس جون كوينسى آدمز ابن ثاني رؤساء أمريكا جون آدمز.ولد جورج بوش الابـن فـي السادس من تموز عام 1946 لأسرة محافظة، وأتم دراسته الجامعية فـي عـام 1968 والتحق بعدها بالحرس الجوى الوطني لولاية تكساس بقاعـدة الينغتـون ليتدرب على الطيران ليصبح بعد ذلك قائدا لطائرة مقاتلة من طراز F102. ثـم عمل بقطاع الأعمال حيث أسس وترأس شركة بوش للتنقيب عن البترول والغاز ، الأمر الذي أكسبه خبرة واتصالات واسعة في مجال الصناعات البتر وكيماوية. وينتمي بوش إلى أسرة عرفت بالعمل السياسي، فجده برسكوت بوش خدم عضوا في مجلس الشيوخ الفدرالي بين سنتي 1952 و1963، وعمل والـده نائبـا فـي البرلمان الفدرالي سنة 1966 ثم نائبا للرئيس رونالد ريغان في الفترة من 1981

إلى 1989، وأصبح الرئيس الواحد والأربعين للولايات المتحدة الأمريكية سـنة 1989، إضافة إلى أن أخاه جب بوش لا يزال يتقلد منصب حاكم ولاية فلوريدا. انضم بوش الابن إلى قائمة حكام الولايات الأمريكية الذين فازوا بمنصب الرئاسة مثل الديمقراطي جيمى كارتر الذي كان حاكما لولاية جورجيـا، والجمـهوري رونالد ريغان حاكم كاليفورنيا السابق، وبيل كلينتون الذي كـان يحكـم ولايـة أركنساس، أما بوش فقد حكم ولايـة تكـساس لفتـرتين بـدأت أولاهمـا عـام 1994(الكناني، 2004).

ولم يخطر ببال أحد أن جورج بوش الابن يصلح مرشحا، لأن أوجه القصور في شخصيته وثقافته كثيرة. وكانت أمه (بربارة بوش) أول من سلم بعدم صلاحية ابنها، حيث أمعن بوش الابن في الاعتراف بقصوره، فقد روى أنه ظـلّ حتـى الخامسة والثلاثين من عمره شاباً لاهياً عابثا كسولا عازفاً عن العلم، خـصوصاً بعد أن حصل بالكاد على شهادة من جامعة تكساس وأخرى مـن جامعـة ييـل. واعترف بوش الابن بعدها بأن ثروة العائلة وحياته بين تكساس وبين واشـنطن أخذت منه الاستقرار العائلي وتركت له فراغا عاش فيه حيـاة غيـر مـسؤولة وصلت به إلى حد الإدمان الشديد على شرب الخمر نهارا وليلا. ومنـذ اعتناقـه مـبدأ "المسيحي المولود من جديد"، فإن الرئيس بوش لم يخف عقيدته، وأعطـى الفضل في توجهه الجديد إلى اجتماعه مع جراهام بل أحد رموز التيار المسيحي عام 1986، وهو من حول حياته من تعاطي المسكرات مع ما فيها من متاعـب إلى أن ساقه إلى اعتناق هذا المبدأ الديني، ومن وقتها حاول أن يتخذ طريق الجد وبداية تجربة محظوظة (مولوداً من جديد) في ترشـيح نفـسه حاكمـا لولايـة تكـساس، لأنها المحيط المباشر لنفوذ الأسرة، وكانت مفاجأة الجميع أنـه فـاز (هيكل، 2004). أما هجمات 11 سبتمبر فقد جاءت لكي تؤكد الـولادة الثانيـة لبوش؛ فقد اعتقد بأن العناية الإلهية وضعته على رأس أميركا في اللحظة المناسبة والحرجة جدا، وعندئذ ازداد إيمانه بالغيب، واعتقد بوجـود مخـطط علـوي يتجاوزه ويستخدمه كأداة لتحقيق غاياته. لذا فإن الرئيس بوش يعتقد، علـى مـا

يبدو، اعتقادا جازما، بأنه على اثر كارثة 11 سبتمبر، أصبح مكلفا برسالة عايا، وهي تتمثل بحمل الحرية والديمقراطية إلى العالم (صالح، 2004).

ويختلف الرئيس جورج بوش الابن عن غيره من الزعماء السابقين في أنـه ينتمي إلى اليمين المسيحي البروتـستانتي المحـافظ وهـو الجنـاح المـسيحي البروتستانتي الصهيوني أي ذاك الجناح الذي يؤمن بوجود إسـرائيل كمـصلحة دينية حياتية للولايات المتحدة كونها تبشر بالمجيء الثاني للمسيح (أبـو عـامر، 2004).

لذلك فقد اسـتخدم بوش الابن في خطبه الدين بمعيار كبير كان محل نقـد عميق، ومع أن الرئيس أبراهام لنكولن وغيره من الرؤساء الأمريكيين استخدموا الخطاب الديني، إلا أن الرئيس الحالي يتحدث في سياق مختلف غير محبب، ليس على الصعيد الأمريكي فحسب، بل مرفوض أيضا على المستوى العالمي، هـذا الفرق الجوهري بين الرئيس بوش ومن سبقه مـن الرؤسـاء الأمـريكيين فـي استخدامه الدين سلاحاً لتحقيق مآربه السياسية. صحيح أن جيمي كارتر يعـد أول رئيس يصف نفسه بأنه مسيحي مولود من جديد للمرة الثانية، لكنه كان حذراً في أن يقحم الدين في خطابات الرئاسة. وعلى غرار الرئيس جيمـي كـارتر، فـإن الرئيس رونالد ريجان والرئيس كلينتون استشهدا ببعض المقاطع المقدسـة مـن وقت لآخر في الخطابات العامة، لكن استشهاد هما كان في الحدود المألوفة، ولم يكن ذلك الاستشهاد محوراً مركزياً للهدف الذي يسعون إلـى تحقيقـه (المالـك، 2003).

كما اشتهر الرئيس بوش الابن منذ سنوات شبابه بالبـساطة وبميلـه نحـو تبسيط الأمور، وامتناعه عن التعمق في القضايا والمسائل التي تخصه، ويبدو أن هذه الصفات في شخصيته كانت الدافع وراء اختياره مرشـحاً للرئاسـة ليبـشر بأفكار جماعات المحافظين الجدد، الذين يطرحون قضايا ومبادئ أو يخططـون لسياسات يحتاج تنفيذها إلى رئيس يقدمها للرأي العام بطريقـة شـديدة التبـسيط يطمئن إليها رجل الشارع. وقد استطاع الرئيس بوش فعلا تقديم مشروع اليمـين

المحافظ لفرض الهيمنة الأميركية على العالم، كما لو كان الأمر حقيقة لا يزيـد عن نشر الديموقراطية والحرية (مطر، 2006).

شهدت الظروف السياسية الدولية قبل رئاسة بوش الابن تحولات عميقة على مستوى النظام الدولي والعلاقات الدولية ككل، فقد صاحب انتصار أمريكـا فـي الحرب الباردة شعورا بعدم الارتياح، ذلك أن عليها أن تواجه تحديات كثيرة فـي إطار سعيها لتحقيق مصالحها عقب انهيار الاتحـاد الـسوفييتي، وتتعلـق هـذه التحديات بالمشاكل التي ما زالت تواجه العـالم، والـضعف النـسبي للاقتـصاد الأمريكي والتوجه الشعبي الأمريكي نحو تقليص النشاط الذي تمارسـه بلادهـم على مسرح الأحداث الدولية (بدران،1993).

لقد أوجدت هذه التحولات فراغا على قمة هرم النظام العالمي، مما دفع بالولايات المتحدة إلى محاولة خلق إجماع عالمي على بعض المسائل التـي تهـدد الأمـن والسلم الدوليين، مثل غزو الكويت أو الحرب في الصومال والبوسنة والهرسـك. ولم تكن الولايات المتحدة لتسمح للدول الأخرى استغلال الفرصة لقيادة العـالم، فتقدمت أمريكا لقيادة النظام العالمي الجديد الذي بشر به عقـب حـرب الخلـيج الثانية، من ناحية أخرى كانت الفلسفة السياسية المتعلقة بالأمن القومي الأمريكـي خلال فترة حكم الرئيس كلينتون، تقوم على تغيير النظر إلى الأمن القومي مـن المفهوم العسكري ومقاومة الشيوعية، والابتعاد عن الفكر الجيوبـولتيكي، الـذي يتحدد بتوازن القوى، إلى مفهوم اقتصادي اجتماعي أقرب إلى تحقيـق الـسيادة الاقتصادية، وبالتالي إعادة النظر في نفقات الدفاع، وكذلك إعـادة النظـر فـي التهديدات التي اتسعت، لتشمل تهديدات غير عسكرية مثـل: النمـو الـسكاني، الهجرة، الفقر، والبيئة (المشاط، 1993).

وعلى الصعيد الفكري السياسي؛ كانت الساحة الأمريكية تعج بالعديد مـن الأفكار والسيناريوهات، التي تشخص الواقع الـدولي وتحـاول أن تـستـشرف المستقبل، وان تحدد الدور الأمريكي القادم في السياسة الدولية، وكان الأبرز منها ما يعالج السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، وهي المنطقة التي أثبتـت الخبرة التاريخية أنها كانت على الدوام منطقة مصالح استراتيجية حيوية للولايات

المتحدة بغض النظر عن نوع الإدارة التي تحكم، فهذا جـيمس ولـسي رئـيس المخابرات المركزية الأمريكية في عهد كلينتون؛ يرى انه على العكس مما كـان متوقعا لم تنتف التهديدات الموجهة إلى المـصالح الأمريكيـة بانتهـاء الاتحـاد السوفييتي، بل أن حجم هذه التهديدات قد ازداد وأصبح أكثر تعقيدا من ذي قبـل، حيث أدى انهيار الاتحاد السوفييتي إلى انهيار الركيزة الأساسية في الاستراتيجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط، مما قد يدفع بسياسة أمريكا إلى فترة مـن التخبط وعدم الوضوح، وكلما طالت فترة التخبط وعدم الوضوح هذه بسبب غياب الرؤية الاستراتيجية، كلما فقدت الولايات المتحدة من مصداقيتها أمام أصـدقائها، وهو الأمر الذي قد يدفع باتجاه أن تبني الولايات المتحدة اسـتراتيجيتها الجديـدة على ركائز أيديولوجية مثل الديموقراطية وحقوق الإنسان ومحاربـة الإرهـاب (جمعه، 1993).

كما تحدث السفير الأمريكي زلماي خليل زاده عن دور الزعامـة العالميـة والخطوات التي يجب أن تتبعها الولايات المتحـدة الأمريكيـة، إذا مـا قـررت الاضطلاع بهذا الدور، موضحا أن على الولايات المتحدة أن تحول دون حـدوث هيمنة معادية على المناطق الحيوية، وهي المناطق التي تضم مـوارد اقتـصادية وفنية وبشرية كافية، بحيث إذا سيطرت قوة معادية عليها سيـشكل ذلـك تحـديا عالميا، مبينا أن الولايات المتحدة تستطيع أن تكون في إطار الزعامـة العالميـة انتقائية في تدخلاتها العسكرية في مختلف أنحاء العالم، غير أن هناك عاملا مهما يقرر إمكانية مواصلة دور الزعامة، وهو درجة تدخل الولايـات المتحـدة فـي الصراعات العالمية، وذلك على ضوء الخطأ الاستراتيجي الذي ارتكبتـه بعـض الدول العظمى في الماضي، عندما تمددت أكثر من اللازم، ويمكن أن يحدث هذا إذا لم تتعقل الولايات المتحدة في استخدام قوتها العسكرية أو إذا تورطـت فـي نزاعات مطولة (زاده، 1997).

وفي ضوء ما تقدم نرى أن هناك عدد من العوامل التي تؤثر في ذهنية صانع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي ذهنية النخبة السـياسية والفكرية أيضا، منها (المشاط، 1993) :-

أ- أنهم عايشوا مرحلة الحرب الباردة، وهي المرحلة التي خلقت لديهم إحساسا مزدوجا؛ فهناك الرغبة في تجاوز هذه المرحلة والبدء بمرحلة جديدة، وهناك الخوف أيضا من الأسلحة النووية التي لا تزال منتشرة في دول الاتحاد السوفييتي السابق.

ب- يوجد إجماع لدى الأمريكيين حول مسألة امتلاك أمريكا لمركز الصدارة في النظام الدولي.

ج- هناك إجماع أيضا لدى النخبة السياسية والفكرية في الولايات المتحدة على أهمية بعض الأقاليم للمصالح الأمريكية ومنها الشرق الأوسط والخليج العربي.

د- يوجد تخوف من ازدياد المكانة الدولية والدور الدولي لعدد من الدول منها الصين واليابان وألمانيا، والتخوف من الدور المضاد للمصالح الأمريكية الذي يمكن أن تلعبه التجمعات والتكتلات الاقتصادية الدولية.

ه- يوجد إجماع أيضا على الحرص على تعزيز المكانة التي تحتلها إسرائيل في الاستراتيجية الأمريكية.

و- هناك إجماع على أهمية التجديد الاقتصادي الداخلي، لتقوية واستمرار احتلال قمة النظام العالمي.

في ضوء هذه الأوضاع دخل الرئيس بوش الابن إلى البيت الأبيض بعد حملة انتخابية مثيرة للجدل، حيث أظهرت نتائج الانتخابات الرئاسية انقسامات ثقافية وإقليمية واضحة بين الائتلافات الانتخابية، وفشل الرئيس بوش في رأب الصدع الحزبي نتيجة للوضع المعقد الذي شهدته ولاية فلوريدا، وهي الولاية التي شهدت جدلا واسعا حول من فاز بأكثرية الأصوات فيها، ذلك أن آل غور منافس الرئيس بوش ينتمي إلى هذه الولاية، ومن الطبيعي أن يحصل على الأصوات الأعلى فيها، غير أن نتائج الاقتراع بينت عكس ذلك وهو الأمر الذي ألقى بظلال من الشك حول صحة نتائج هذا الاقتراع، حيث أظهرت استطلاعات الرأي العام أن معظم الجمهوريين والديموقراطيين غير متفقين تماما عمن فاز بأكثرية الأصوات في ولاية فلوريدا، كما أنهم غير متفقين كذلك على ما إذا كانت محكمة

العدل العليا قد قررت على نحو متحيز من المنتصـر، هذا الأمـر انعكـس على نتائج استطلاعات الرأي، حيث بين أحد هذه الاسـتطلاعات أن 68% مـن الديموقراطيين يعتقدون أن بوش لا يمكن الوثوق به في الوفاء بوعوده، واعتقـد 59% ممن استطلعت آراؤهم أن الرئيس بوش لا يمتلك خصائص القيادة، وشكك 78% في قدراته على التعامل مع أزمة دوليـة، واعتقـد 70% انـه لا يمتلـك المهارات المطلوبة للتفاوض مع زعماء العالم (مسعد، 2004).

ونتيجة لهذا الوضع المعقد الذي واجهه الرئيس بوش الابـن مـن حيـث الاتهامات بضعف الخبرة السياسية وتدني الشعبية، عمـد إلـى تعـويض نقـاط الضعف هذه عن طريق تشكيل فريق عمل قوي جدا أطلق عليه في حينه " فريق الأحلام "، وقد تكون هذا الفريق في معظمه من أعضاء تيار المحـافظين الجـدد الذين برزوا داخل الحزب الجمهوري الأمريكي، وهو الأمر الذي قاد فيما بعد إلى أن تنحو الإدارة الأمريكية نحو سياسة خارجية تعبر عن الأجندة السياسية لهـذا التيار؛ حيث اتصف تيار المحافظين الجدد برفض العمل الجمـاعي مـن حيـث المبدأ، والتمسك بالهيمنة الأمريكية على العالم واستخدام الأداة العسكرية والقـوة الصلبة في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية والاهتمام الـشديد بـالقيم الأمريكيـة واعتماد فكرة الاستعلاء القومي على الأمم والـشعوب الأخـرى، إضـافة إلـى استخدام الخطاب الأيديولوجي المتأثر بمفاهيم الخير والشر، مما يعكـس التحالف الذي يربط هذا التيار بتيار اليمين المـسيحي المتطرف، وقد بدا هـذا الخطـاب واضحا على لسان الرئيس الأمريكي نفسه عندما استخدم وبكثافة عبارات متدينة (مسعد، 2004).

وقد بدأت هذه الإدارة بدفع أهداف الولايات المتحدة الأمريكية بطريقة تعبر عن القناعات الراديكالية لأعضاء هذه الإدارة، وتصوراتهم حـول كيفيـة عمـل أمريكا على مسرح الأحداث الدولية، حيث يؤمن هؤلاء بـأن القـوة العـسكرية الأمريكية وحدها هي القادرة على تأمين المصالح الأمريكية حول العالم، لأنهـم يعتقدون أن القوة الأمريكية هي قوة خيرة ذات نوايا حميدة، لذا فإنها لا تحتاج إلى موافقة الآخرين من خلال السعي نحـو الـشرعية، بـل أن هـؤلاء الآخـرين

(المؤسسات الدولية والقانون الدولي) ما هي إلا مصيدة وضعتها الأمم الأضعف للحد من حرية الحركة الأمريكية. هذه الرؤى وجدت من يعارضها حتى من داخل الإدارة الأمريكية نفسها، حيث وقع تصادم حقيقي بين فكرتين متعارضتين تماما حول الدور الأمريكي في العالم: الفكرة الأولى مثلها وزير الخارجية آنذاك " كولن باول" وهي الفكرة التي ترى أن القوة الأمريكية تكون أكبر وأعظم تأثيرا عندما تعمل بتناغم مع الحلفاء للدفاع عن قيم ومصالح مشتركة. في حين أن الفكرة الثانية التي مثلها وزير الدفاع آنذاك " دونالد رامسفيلد " تدعو إلى اعتماد الأحادية الأمريكية وعدم الاعتماد على التحالفات الدائمة، وهو الصراع الذي انتهى بخروج "كولن باول" من الإدارة الأمريكية (البكر، 2004).

لقد سلب خروج كولن بأول الإدارة الأمريكية الجزء المعتدل منها لتصبح بعد ذلك إدارة يمينية خالصة يسيطر عليها صقور المحافظين الجدد الذين بدأوا بإدخال أجندتهم السياسية إلى صلب الاستراتيجية الرسمية للولايات المتحدة، حيث بدأت الأفكار المتعلقة باستخدام القوة لتنفيذ أهداف السياسة الخارجية تظهر بوضوح، علاوة على الأفكار المتطرفة المتعلقة بتشكيل العالم وتغيير الخرائط في الشرق الأوسط ومحاربة الإرهاب، في محاولة لبناء الإمبراطورية الأمريكية، وفق رؤية راديكالية متطرفة تقوم فيها القوة الأحادية الجانب بفرض الهيمنة الأمريكية، وهو الأمر الذي أدى إلى ارتفاع عدد من الأصوات المناهضة لهذه التوجهات باعتبارها تحولا استعماريا خطيرا يعتمد على قدر هائل من القوة العسكرية، والتي قد تؤدي إلى استنزاف القدرات السياسية والاقتصادية للولايات المتحدة، وبالتالي إلى تراجع قدرتها على القيادة وخلق الكثير من "الإرهاب" و"الدول المارقة" (حماد، 2005).

لقد تسبب الرئيس بوش وإدارته الجمهورية بازدياد مشاعر العداء والكراهية تجاه الولايات المتحدة، وفقدانها للكثير من "مصداقيتها" أمام حتى الأصدقاء، حيث اخذ الرئيس بوش يردد مقولات المحافظين الجدد، مما ساهم في إيجاد رأي عالمي مناهض للإمبراطورية الأمريكية ومساعي الهيمنة، التي بدت واضحة في السلوك الأمريكي، ومحاولة تحجيم وتطويق الأمم المتحدة باعتبارها

تضر بالشرعية "المقدسة" للسلطة الأمريكية الأحادية، وكذلك رفض المفاوضـات والالتزامات الخاصة بالبيئة (اتفاقية كيوتو)، ومعاهدة الدفاع المضاد للصواريخ، والمحكمة الجنائية الدولية، ومن خلال السلوك الذي لا يعير أدنى اهتمام بمبـادئ القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة. فهذه الإدارة ترى أنها تملك الحق الإلهـي الذي يسمح لها باختيار المكان والزمان عندما تقرر الذهاب إلى الحـرب (أبـو سريع، 2005).

يضاف إلى ذلك توريط الولايات المتحدة في نزاعـات مـسلحة واحـتلال أراضي الغير بالقوة، بهدف إسقاط النظام كما حصل فـي العـراق؛ حيـث أراد المحافظون الجدد من العراق أن يكـون منطلقـا ونقطـة البدايـة لمـشروعهم الإمبراطوري، لعدة أسباب منها ما يتعلق بالموقع الجغرافي المميز للعراق، ومنها ما يتعلق بالنفط، ولكن هذه الأحلام لم تتحقق في ظل المقاومة الباسلة التي يبديها الشعب العراقي، والتي وضعت الولايات المتحدة في مآزق عديدة، حاولت أمريكا أن تخرج منها بوضع استراتيجيات جديدة، لكنها فشلت في ذلك، حتـى وصـل الأمر إلى الهزيمة الفعلية للاستراتيجية الجديدة للرئيس بوش في مستنقع العـراق والتي يفسرها البعض على أنها إقرار بالهزيمة والتي لا ترتبط بحجـم الخـسائر التي تقع في الطرف الأمريكي بقدر ما ترتبط بفشل المشروع-النمـوذج، الـذي راهنت عليه الإدارة الأمريكية منذ بداية غزوها للعراق (العناني، 2005).

لقد حاول اليمين المحافظ الجديد منذ ما يزيد على ربع قرن فرض الهيمنـة الأيديولوجية والسـياسية في أميركا، وقد تمكن من تحـقيق بعض النجاحات في ذلك، غير أنه لم يتمكن من السيطرة على السياسة الأمريكية كاملة لعدة أسـباب؛ منها التوازنات الحزبية واللعبة الديموقراطيـة والطبيعـة الليبراليـة للمجتمـع الأمريكي، غير أن نجاح بوش الابن في سباق الرئاسة الأمريكية ووقوع أحـداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، رجحت كفة المحافظين الجدد في التوازنات المؤسسية، وهو الأمر الذي مكنهم من إحكام سيطرتهم على السياسة الأمريكيـة، وبالتالي فرض رؤيتهم الأيديولوجية السياسية على الاستراتيجية الأمريكية، فتحول

الرئيس إلى "قيصر"، حيث أصبح شخص الرئيس محورا لسياسة أحادية الطرف ترتكز على التعبئة الدائمة والحرب الاستباقية (غولوب، 2007).

وقد أصبح الرئيس بوش وإدارته محل سخرية ونقد لاذع من قبل العديد من المفكرين والمراقبين حول العالم، ومنهم الأمريكان أنفسهم، حيـث وجـه نعـوم شومسكي نقدا لاذعا للإدارة الأمريكية، حيث قال:

" أن الولايات المتحدة الأمريكية فرضت دائما إرادتها، غير أن إدارة بوش هـي التعبير الحدي لهذه السياسة ذات الطيف الضيق جدا ". قائلا أيضا: " أن التصرفات السياسية للولايات المتحدة تذكر إلى حد بعيد بالتصرفات التي تستخدمها عصابات المافيا، إنها تهتم بمصالحها الخاصة، وتتهـرب مـن القـانون .. إن المحيطـين بالرئيس، الذيـن يركـزون كل القيادة في أيديهم، يشغلون أكثر المواقـع تطرفـا فـي الطيف الـسياسـي غيــر الواســع لأمريكـا " (شومـسكي، 2007، ص39).

2.4 المحافظون الجدد وأحداث الحادي عشر من سبتمبر

يقصد بها الأحداث التي وقعت صبيحة يوم الثلاثاء الحادي عشر من شـهر أيلول/سبتمبر عام 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية، عندما ضربت طائرتان مخطوفتان برجي مركز التجارة العالمي الشـمالي والجنـوبي، ممـا أدى إلـى انهياريهما، لتضرب طائرة ثالثة مختطفة أيضا مبنى وزارة الـدفاع الأمريكيـة (البنتاغون) عقب ذلك بدقائق، ثم تحطم طائرة رابعة مختطفة يقال أنها كانت في طريقها إلى البيت الأبيض في واشنطن.

لقد بدأ الهجوم في الـساعة الثامنة وخمــس وأربعـين دقيقـة بتوقيـت نيويورك، عندما اصطدمت طائرة تجارية من طراز بوينغ 767 (الرحلـة رقـم 11) تابعة لشركة أميريكان أير لاينز American Air Lines وعلى متنها 92 مسافرا بالبرج الشمالي لمركز التجارة العالمي، وفي الساعة التاسعة وثلاث دقائق اصطدمت الطائرة الثانية وهي من طراز بوينغ 767 (الرحلة رقـم 175) تتبـع لشركة يونايتد أير لاينز United Air Lines بالبرج الجنوبي للمركز وكان على مــتنها 65 مسافرا، وعقب ذلك بأربعين دقيقة، أي في الساعة التاسعة وثـلاث

وأربعين دقيقة اصطدمت طائرة البوينغ 757 (الرحلة رقم 77) التابعة لشركة أميريكان أير لاينز American Air Lines بمبنى وزارة الدفاع وعلى متنها 64 شخصا بما فيهم طاقم الطائرة. وفي الساعة العاشرة وعشر دقائق سقطت طائرة رابعة من طراز بوينغ 757 (الرحلة رقم 93) بالقرب من مدينة بيتسبيرغ بولاية بنسلفانيا وعلى متنها 45 راكبا، وكان يعتقد أنها تتجه إلى البيت الأبيض، وكان الوصف المبكر لهذه الأحداث بأنها " بيرل هاربر " جديدة، وهو الوصف الذي عبر المحافظون الجدد سابقا عن حاجتهم له (سعيد وسعيد، 2002).

وقد أعتبر هذا اليوم البداية الحقيقية للقرن الواحد والعشرين، حيث مثل هذا اليوم فصلا جديدا في تاريخ العالم وتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية كما كان هجوم " بيرل هاربر " فصلا جديدا في تاريخ العالم وأمريكا، وهو بهذه الصفة لم يكن بسبب عدد الضحايا الذين سقطوا، بل للرمزية التي مثلها هذا الهجوم على الرموز السياسية والاقتصادية والعسكرية الأمريكية. لقد قادت أحداث هذا اليوم إلى إعادة التفكير في الأفكار التي تأسست عليها العلاقات الدولية، حيث أكدت هذه الأحداث على وجود فواعل دوليين آخرين غير الدول في العلاقات الدولية، وتغيرت النظرة إلى الحرب من حيث أنها تنشب بين الدول لتصبح ضد منظمات وأفراد معينين (هلال، 2002).

كما اعتبرت هذه الأحداث المسبب الرئيسي في تقديم أجندة المحافظين الجدد المتطرفة على قائمة الأولويات والخيارات الاستراتيجية الأمريكية، وبالتالي إطلاق القوة الأمريكية من قمقمها، حيث لم تكن الحرب والعسكرة ممكنة لولا هذه الأحداث؛ أطلقت الولايات المتحدة عقب هذه الأحداث حملتها التعبوية العسكرية الواسعة لدعم خياراتها في الحرب الاستباقية كوسيلة للتحكم الشامل عن طريق إعادة ترتيب منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي، وتحقيق الطموح الإمبراطوري الأكثر اتساعا، وهي ذات الأهداف التي عبر عنها المحافظون الجدد في رؤيتهم للدور الأمريكي لقيادة العالم عبر التفوق العسكري المطلق وتوحيد المجتمع من خلال الحرب والتعبئة الدائمة وتأمين التفوق الأمريكي الاستراتيجي الشامل (غولوب، 2007).

وقد ظهرت ثلاث اتجاهات رئيسية لتفسير هذه الأحداث وهي (مسعد، 2004):-

1- الاتجاه الذي اعتمدته الإدارة الأمريكية، والقائل أن عدد من " الإرهابيين الإسلاميين " هم من قاموا بتنفيذ هذه الأعمال، مع الإشارة إلى تنظيم القاعدة وزعيمه أسامة بن لادن، وهذا التفسير تبنته الإدارة الأمريكية منذ اليوم الأول للأحداث.
2- الاتجاه الثاني يقوم على أساس أن الدقة المتناهية في التخطيط والتنفيذ تجعل من المستحيل على تنظيم القاعدة أن يقوم بمثله منفردا دون التعاون مع أجهزة مخابراتية متقدمة. وهنا يرجح دعاة هذا الاتجاه أن يكون هناك تعاون بين عدد من الأجهزة منها الصهيونية أو صرب البوسنة أو اليمين الأمريكي لإنجاح مثل هذه الهجمات.
3- الاتجاه الثالث يتهم مباشرة الإدارة الأمريكية نفسها بالتواطؤ في الأحداث، أو على أقل تقدير العلم المسبق بها دون التحرك لمنعها من الوقوع، وذلك بهدف استغلال الحدث وتوظيفه سياسيا لقيادة حملة واسعة لتصفية " الإرهاب "حول العالم، وتحقيق الطموحات الأمريكية بالهيمنة على النظام العالمي.

وهذا الاتجاه الأخير وجد من يسانده؛ فقد أعلن أندرياس فون بيلوف الرئيس السابق لجهاز المخابرات الألماني، براءة العرب والمسلمين من أحداث 11 سبتمبر في كتابه " السي آي أي ودورها في أحداث 11\9 "، عبر تحليل مدهش لوقائع هذا اليوم، مشيرا إلى أن الأحداث من المستحيل وقوعها دون أجهزة مخابرات ودون وكالة المخابرات الأمريكية تحديدا، لان قيادة طائرات ضخمة بحجم البوينغ وإصابة الأهداف إصابة مباشرة لا يمكن أن يقوم بها مجموعة من طلبة الطيران المبتدئين، طارحا احتمالية توجيه الطائرات من الخارج إلكترونيا، وتقاعس أجهزة الدفاع الأمريكية المتطورة عن الفعل لمنع الهجمات التي تلت عملية الاصطدام الأولى، إضافة إلى تحليل عملية انهيار برجي مركز التجارة العالمي، والاستغلال السياسي الذي تم منذ اللحظات الأولى، معتبرا ذلك لعبة كبرى للسيطرة على العالم (بيلوف، 2004).

كذلك أوضح الكاتب الفرنسي تيري ميسان في كتابه " الخديعـة المرعبـة " عدم ثقته بالتفسير الرسمي الأمريكي لأحداث 11 سبتمبر، لان الرئيس الأمريكي بوش الابن قد علم بأمر الهجمات مسبقا بعد تحذيره من قبل عـدد مـن أجهـزة المخابرات الصديقة منها المخابرات الفرنسية والألمانية والروسـية والمـصرية، مشيرا كذلك إلى أن وزارة الدفاع الأمريكية هوجمت بصاروخ ولـيس بطـائرة، محللا ذلك عبر عدد من الأدلة المنطقية (ميسان، 2002). وقد اتفق تحليل الكاتب الفرنسي حول علم الرئيس بوش بأمر الهجمات مع الاتهام الذي وجهه السيناتور الأمريكي ريتشارد جيبهارد زعيم الأغلبية الديموقراطية فـي مجلـس الـشيوخ للرئيس الأمريكي بالتهاون في التعامل مع تحذيرات تلقاها قبل الهجمات (مـسعد، 2004).

واعتبر عدد من الكتاب والمحللين السـياسيين أن الولايات المتحـدة قـد استغلت، وربما ساهمت في صنع أحداث الحادي عشر من سبتمبر، للتمكن مـن التحرك والتمركز العسكري في وسط آسيا، ذلك أن السيطرة علـى منطقـة أور آسيا والمناطق المحيطة ببحر قزوين كانت على الدوام هدفا منشودا فـي الفكـر الجيوسياسـي الأمريكـي، حيـث عبـر زبيجنيـو بريجينـسكي Zbigniew Brzezinsky عن أن الجائزة الكبرى التي ستحصل عليها الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة هي منطقة أور آسيا. كما عبر المحـافظون الجـدد عـن ضرورة منع قيام أي قطب منافس لأمريكا، سواء كان من حضارة واحدة أو من تكتل عدد من الحضارات. وقد تمكنت الولايات المتحدة –ضمن هذه الرؤية- من بناء جدار عازل بين القوى الصينية والروسية والهندية، عبر الوجود العـسكري المباشر في منطقة أفغانستان ومحيط بحر قزوين مباشرة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وهو الأمر الذي يدعو إلى الاعتقاد بان هذه الأحداث لم تكن مجـرد صدفة (زلوم، 2003)، بل هو عمل مدبر بدقة متناهية ولا يمكـن أن يـتم دون الجيش الأمريكي أو حكومة ظل أمريكية يترأسها صقور الإدارة الأمريكية، وذلك من أجل دعم مؤسسات الصناعات العسكرية وإثارة صـراع بـين الحـضارات

يضعون فيه العالم الغربي المسيحي واليهودي في جانب والعالم الإسلامي في جانب آخر (سعيد وسعيد، 2002).

لقد كان الربح المعنوي والسياسي للولايات المتحدة الأمريكية كبيرا عقب الأحداث التي مستها، فقد شكلت ذريعة مكافحة "الإرهاب" فرصة جيدة لواشنطن من أجل تبرير إخفاقاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ولأول مرة تبدو هذه الدولة في موقف الضحية وتنال تضامنا وتعاطفا دوليا واسعا، وهو ما مكنها من التمركز قرب مناطق استراتيجية وحيوية لم يكن بإمكانها الوصول إليها في السابق (الجمهوريات الإسلامية السوفيتية سابقا، باكستان، محيط بحر قزوين والصين...)، كما أعطت هذه الأحداث للولايات المتحدة درسا لمراجعة أوراقها وتعزيز قوتها وأمنها باتجاه تأييد زعامتها الدولية، وذلك بعد أن نبهتها لمكامن الضعف والقصور لديها (شبكة المعلومات الفلسطينية، 2005).

وكما تركت هذه الأحداث أثراً واضحاً على السياسة الخارجية الأمريكية؛ فقد تركت أثرا آخر في منتهى الوضوح على الصعيد الداخلي، تمثل في إنشاء العديد من الأجهزة الأمنية التي عملت على انتهاك حقوق الأفراد بالتصنت عليهم دون إذن رسمي، والحد من الحريات الشخصية، وذلك في انتهاك واضح للدستور الأمريكي نفسه. وبشكل مجمل أقول بان ظاهر هذه الأحداث شكل تحدياً أمنياً كبيراً للولايات المتحدة الأمريكية؛ فقد ظلت أمريكا معزولة خلف محيطين كبيرين ساهما في أبعادها عن أي اعتداءات على أراضيها، إذ لم يسجل التاريخ الحديث أي اعتداء خارجي على الأراضي الأمريكية، غير أن هذه الأحداث وبالشكل الذي بدت عليه خلقت حالة من الإحساس الجمعي لدى الأمريكيين بعدم الأمان، وهو ما أشارت إليه بعض استطلاعات الرأي التي بينت أن اثنين من كل ثلاثة أمريكيين عبروا عن قلقهم من أن يكونوا ضحايا محتملين لعمليات إرهابية قادمة.هذا الإحساس أدى إلى مراجعة شاملة لمنظومة الأمن القومي الأمريكي في بعديه الداخلي والخارجي، فلم تعد الولايات المتحدة قبل الحادي عشر من سبتمبر هي ذاتها بعد هذه الأحداث (كمال، 2002).

3.4 محاولة تطبيق نظرية المحافظين الجدد في توجهات السياسة الخارجية الأمريكية

لقد شهدت السياسة الأمريكية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة، وانتصار الولايات المتحدة الذي توج بانهيار القطب المنافس شعورا بالعظمة الإمبراطورية (هيكل، 2004). وكنتيجة لهذا الشعور فقد استمرت الولايات المتحدة الأمريكية ببناء قدراتها وتطوير استراتيجياتها العسكرية بنفس الوتيرة التي كانت عليها إبان الحرب الباردة بل شهدت بعض التصاعد من خلال تطوير العقيدة العسكرية والتنظيمية للقوات المسلحة، وبدا ذلك واضحا عبر عدد من الوثائق المختصة في عمليات المراجعة الدورية للشؤون العسكرية، غير أن المعضلة التي واجهت عملية صياغة استراتيجية أمنية جديدة تلائم الأوضاع الدولية عقب انهيار الاتحاد السوفييتي تمثلت في تحديد مفهوم الخطر أو التهديد الذي يجب أن تحدده الاستراتيجية جيدا كي تتمكن من بناء الخطط السليمة القادرة على التعامل معه (الهزاط، 2005).

وقد تسبب فقدان العدو بشيوع حالة من الغموض الاستراتيجي أدت إلى تخبط السياسة الأمريكية لفترة وجيزة، إذ استقر بعد ذلك خيار المؤسسة العسكرية والأمنية الأمريكية على الإسلام ليلعب دور العدو الاستراتيجي بعد انتهاء الخطر الشيوعي، حيث قدمت مراكز الدراسات والأبحاث الاستراتيجية الإسلام كعدو رقم واحد بعد الشيوعية، وذلك تحت عنوان الإرهاب والفكر الأصولي وأسلحة الدمار الشامل (العزي، 2003).

فقد طور المحافظون الجدد عبر هذه المراكز العديد من الاستراتيجيات والخطوط الإرشادية للاستراتيجية الأمريكية القادمة في عالم ما بعد الحرب الباردة، حيث أعد فريق أشرف عليه بول وولفويتز وثيقة " دليل التخطيط الاستراتيجي " The Defense Planning Guidance عام 1992، وتضمنت هذه الوثيقة أسلوب تعامل الولايات المتحدة الأمريكية مع منطقة الشرق الأوسط والعالم، وجاء فيها أن الاحتواء والردع لا يصلحان لما بعد الحرب الباردة، بل لا بد للولايات المتحدة من استخدام قوتها العسكرية التي لا تجارى

بصورة استباقية، وان تمنع الآخرين من الحصول على الأسلحة النووية والبيولوجية والكيماوية، وان تمنع وصول الدول الكبرى إلى حالة المنافسة مع أمريكا، كما طور المحافظون الجدد " مشروع القرن الأمريكي الجديد " The New American Century عام 1997 وهو المشروع الذي ينادي بفرض الهيمنة الأمريكية المنفردة على العالم من خلال استعمال القوة العسكرية الأمريكية للسيطرة على الخليج، والتغلب على التهديدات بصورة حاسمة، وتحقيق التفوق العسكري على شتى القوى العالمية، والمضي قدما في مشروع الدرع الصاروخي، وبناء نظام عالمي يقوم على القيادة الأمريكية ويعتمد على القيم الأمريكية، وعدم الاعتماد على المؤسسات الدولية، بل وتجاهلها أن تعارضت مواقفها مع المصالح الأمريكية، والاعتماد على التحالفات غير الثابتة لتحقيق هذه المصالح (ثابت، 2005).

أن هذا التمهيد الفكري الاستراتيجي لكيفية تعامل الولايات المتحدة مع الوضع الدولي، يؤشر مباشرة إلى عدم اختزال الحديث عن الاستراتيجية الأمريكية باللحظة الفارقة التي مثلتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، فهناك تطورات هائلة حدثت قبل هذا التاريخ، بدء من سقوط حائط برلين وتداعي المنظومة الشيوعية، ووقوع حرب الخليج الثانية، فلم تكن حوادث 11 سبتمبر إلا المناسبة التي كشفت عن المخططات الأمريكية التي تبلورت عقب هذه التحولات في عقد التسعينيات من القرن الماضي، حين بدا المناخ الدولي كفرصة سانحة للولايات المتحدة الأمريكية لإعادة صياغة وتشكيل هذا المناخ بما يتناسب مع مصالحها عبر السياسات الانفرادية ومساعي الهيمنة التي بدت واضحة قبل أحداث 11 سبتمبر وأخذت دفعة كبيرة بعد وقوع هذه الأحداث (عماد،2002).

هذا التمهيد الفكري الاستراتيجي انقسم إلى شقين رئيسيين انطلاقا من عدد من الأسئلة/المحاور التي حكمت الجدل الفكري حول السياسة الأمريكية في العالم الجديد، عالم ما بعد الحرب الباردة، ومنها ما يتعلق بالسلوك الأمريكي، هل سيكون سلوكا منفردا Unilateral؟ أم سيكون سلوكا يعتمد على بناء التحالفات ومشاورة الحلفاء وضمن إطار الإجماع الدولي Multilateral؟، وهل سيكون

هذا السلوك معتمدا على أدوات التأثير السياسي والثقافي والاقتصادي The Soft power (القوة الناعمة حسب تعبير جوزيف ناي)، أم سيعتمد على القوة العسكرية لتحقيق المصالح الأمريكية Hard power؟ بمعنى آخر هل تريد الولايات المتحدة نظاما دوليا يشارك فيه المجتمع الدولي ويقوم على احترام الشرعية الدولية؟ أم أنها تريد نظاما دوليا تقوده عبر القوة وإخضاع الآخرين؟؟ فالذي فعلته أحداث 11 سبتمبر 2001 هو أنها رجحت كفة أصحاب الخيار الثاني وهم المحافظون الجدد الذين وصلوا إلى مراكز صنع القرار السياسي مع وصول الرئيس بوش الابن إلى البيت الأبيض (شلق، 2003).

فكيف وصلت الولايات المتحدة إلى التطبيق الكامل لنظرية وأجندة المحافظين الجدد؟؟

لقد كانت مبادئ المحافظين الجدد التي أعلنوا عنها عبر جيلين اثنين هما الجيل الأول والجيل الثاني، والتي تمت الإشارة إليها في عدد من الوثائق التي أعدها المحافظون الجدد*، وكما بين إعلان المبادئ الذي تضمنه مشروع القرن الأمريكي الجديد The New American Century، تشير إلى عدد من الأسس التي يجب إتباعها كدليل ومرشد للسياسة الخارجية الأمريكية، ومنها عدم التردد في استخدام الأداة العسكرية لتحقيق المصلحة الأمريكية، وكذلك السعي إلى منع الدول الأخرى من الوصول إلى مرحلة منافسة الولايات المتحدة – أي منع ظهور قطب دولي آخر – وتحدي الأنظمة التي تعارض النفوذ الأمريكي، وزيادة الإنفاق العسكري، ومنع انتشار الأسلحة النووية، وعدم الاعتماد على التحالفات الثابتة أو المنظمات الدولية (Statement Of Principles, 1997) ، واعتماد منطقة الشرق الأوسط كنقطة ارتكاز في الاستراتيجية الأمريكية (هيكل، 2004). وقد أشاع المحافظون الجدد عددا من الآليات لتطبيق هذه المبادئ منها مفهوم الحرب الاستباقية ونظرية الفوضى البناءة وغيرها.

- وثيقة " تفويض للزعامة " التي قدمتها مؤسسة تراث Heritage لإدارة الرئيس رونالد ريغان ، وهي مكونة من ثلاثة الآف صفحة توضح أهداف الاستراتيجية الأمريكية.
- وثيقة " مرشد التخطيط الدفاعي " التي أعدها فريق أشرف عليه بول وولفويتز عام 1992.
- وثيقة A Clean Break: New Strategy For Scuring The Realm التي أعدها ريتشارد بيرل ودوغلاس فيث عام 1996 وتم تقديمها إلى حكومة بنيامين نتنياهو.
- وثيقة مشروع القرن الأمريكي الجديد الذي تأسس عام 1997.

وعند تحليل ومقارنة السلوك السياسي الأمريكي بعد عام 2001 مع ما جاء في وثائق المحافظين الجدد من المبادئ والأهداف التي تم استعراضها، نـرى أن الولايات المتحدة قد عملت على استخدام القوة بشكل مكثف في أفغانـستان كـرد على اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر، كما استخدمت القوة العنيفـة وبـشكل استباقي في العراق لإسقاط نظام الحكم فيه، كما عملت على تهميش دور الأمـم المتحدة والمجتمع الدولي حين شنت حرباً غير شرعية علـى العـراق، وبـشكل يتجاهل الحلفاء والأصدقاء وخصوصا في القارة الأوروبية، الأمر الذي عمل على تأزم العلاقات على ضفتي الأطلسي. كما تحدت الولايات المتحدة الأنظمة التـي تناوئها أو التي تحاول تطوير أسلحة دمار شامل مثل كوريا وإيـران ووصـفتها بمحور الشر إضافة إلى العراق. كما هددت النظام السوري واعتبرته من الأنظمة الداعمة للإرهاب، وتدخلت أمريكا في منطقة الشرق الأوسط عبر مطالبتها علـى تطبيق الإصلاحات الديموقراطية، وطرح مشـروع الشـرق الأوسـط الكبيـر في محاولة لتـغيير طبـيعة المنطقة (كالينيكوس، 2004). إضافة إلى ذلـك – وهو الأخطر- فقد تم اعتماد معظم مبادئ المحافظين الجدد كاستراتيجية رسـمية للولايات المتحدة الأمريكية، حيث تضمنت استراتيجية الأمن القومي الأمريكـي جزءا كبيرا من رؤية المحافظين الجدد*.

إضافة إلى ذلك فقد انطوى التوجه الاستراتيجي العام للولايات المتحـدة على أبعاد أخرى على الصعيد الدولي الخارجي، بما يتماشى تماما مع بنـد مـن بنود نظرية المحافظين الجدد، وهو الجزء الخاص بمنع ظهور منافـسين للقـوة الأمريكية. ومن هذه الأبعاد البعد النفطي المتمثل في الاحتياطيات الاسـتراتيجية في محيط بحر قزوين والخليج العربي، وضرورة إحكام الـسيطرة علـى هـذه الاحتياطيات من وجهة نظر المحافظين الجدد، وكذلك البعد النووي المقترن بالبعد الجغراسياسي؛ بمعنى ضرورة التمركز في وسط آسيا لمراقبة القـوى النوويـة الصاعدة في القارة الآسيوية ومراقبة التعاون النـووي الروسـي – الإيرانـي،

* انظر نص استراتيجية الأمن القومي الأمريكي الصادرة عام 2002 .

والتعاون النووي بين الصين وباكستان، وذلـك بهـدف تطويـق هـذه القـوى جغراسـياسيا، لترسـيخ وضعية الأحادية القطبـية (معلوم، 2002).

علاوة على ما تقدم؛ فقد تملك الإدارة الأمريكية نوع من الهوس الأمني أدى إلى مراجعة شاملة لمنظومة الأمن القومي ببعديه الداخلي والخارجي، وكما يلي (كمال، 2002) :-

أ- البعد الداخلي:- تضمن هذا البعد إعادة هيكلة الأجهزة الأمنية، وإنشاء هياكل جديدة للأمن الداخلي، وإصدار عدد من القوانين ذات العلاقة بمحاربة الإرهـاب وعلى النحو التالي:-

1- إنشاء مكتب الأمن الداخلي :- أعلن الرئيس بوش الابن عن إنشاء هذا المكتب بعد تسعة أيام فقط من وقوع أحداث 11 سبتمبر 2001، وسلمت مهام إدارته لحاكم ولاية بنسلفانيا توم ريدج، وتتكون عضوية المكتب من الرئيس ونائبـه والوزراء ورؤساء الوكالات الفيدرالية المعنية بمكافحة الإرهـاب، ومهامـه التنسيق بين أكثر من أربعين وكالة ومؤسسة فدراليـة لمواجهـة الإرهـاب وحماية الأراضي الأمريكية من أي عمل إرهابي مستقبلا.

2- إصدار عدد من القوانين الخاصة بمكافحة الإرهاب ومنها:

1- القانون الوطني الأمريكي :- وقع عليه الرئيس الأمريكي يوم 2001/10/26 بعد إقراره في الكونغرس بأغلبية 98 صوتا مقابل واحد في مجلس الـشيوخ، و356 مقابل 68 صوتا في مجلس النواب، وتضمن القـانون إعطـاء سـلطة احتجاز الأجانب المشكوك بممارستهم أنشطة إرهابية للمدعي العام الأمريكي، كما تضمن حق الوكالات الفدرالية بالتصنت على المكالمات الهاتفية، والحـق في تتبع الأرصدة المالية التي يشتبه في تمويلهـا عمليـات إرهابيـة، وحـق الأجهزة الأمنية في التشارك بالمعلومات الخاصة بمكافحة الإرهاب.

2- قانون أمـن الطيـران والمطـارات:- أصـبح هـذا القـانون نافـذا يـوم 2001/11/19، وبموجبه يصبح أمن المطارات مهمة فدرالية بشكل مباشـر، تشرف عليها وكالة جديدة هي وكالة أمن المواصلات، ومهمتها ضمان أمـن موانئ السفر البحري والجوي.

3- إنشاء المحاكم العسكرية :- وذلك بناء على أمر تنفيذي من الرئيس الأمريكي بوش الابن مباشرة، وتهدف المحاكم إلى محاكمة الأجانب المتورطين بأعمـال إرهابية، وتعقد جلسات هذه المحاكم بشكل سري، ولا توجد بهـا الإجـراءات القانونية التي تكفل حق المتهمين، ويمثل أمامها من يـرى الرئيـس نفـسه ضرورة مثوله، وأحكامها قاطعة غير قابلة للاستئناف، وقد تتضمن هذه الأحكام الحكم بالإعدام.

3-إعادة هيكلة وزارة العدل ومكتب المباحث الفدرالية:

1- هيكلة وزارة العدل :- لم تكن مهمة محاربة الإرهاب من أولويـات وزارة العدل قبل 11 سبتمبر، ولكنها أصبحت المهمة رقم واحد بعـد هـذه الأحـداث. فأصبحت وزارة العدل معنية بمهمة منع العمليات الإرهابية، حيث أنشئت الوزارة وحدة خاصة بتعقب الإرهابيين ومنعهم من دخول الأراضي الأمريكيـة، وإلقـاء القبض على من هم داخل هذه الأراضي، إضافة لإلحاق وحدة لمكافحة الإرهاب بمكاتب المدعين العامين في كامل أرجاء الولايات المتحدة.

2- هيكلة مكتب المباحث الفدرالية FBI :- تم تعيين مدير جديد لهذا المكتـب (روبرت مولار)، كما أعيد تنظيم المكتب ليشمل 4 أقسام بـدلا مـن 12 مـع إعطاء مكانة خاصة للقسم الذي يهتم بموضوع مكافحة الإرهاب.

ب-البعد الخارجي:- تم ضمن البعد الخارجي للأمن القومي إعـادة النظـر فـي سياسات الاستخبارات وسياسات الدفاع.

1-سياسات الاستخبارات :- شهدت أجهزة الاستخبارات الأمريكية بعد 11 سبتمبر أكبر محاولة لإعادة الهيكلة بهدف تنسيق الجهود وتقليل التنافس فيما بينها، وذلك بعد الانتقادات الحادة التي تعرضت لها بعد فشلها في اكتشاف ومنع الاعتداءات التي تعرضت لها الولايات المتحدة يوم 2001/9/11، لذا فقد تم إصـدار عـدة توصيات بضرورة العناية بالعنصر البشري وتجنيد العملاء، وكذلك نقل ثلاثـة أجهزة أمنية لتعمل تحت إشراف وكالة المخابرات المركزية، وهي وكالة الأمن القومي، ومكتب المراقبة القـومي المـسؤول عـن إدارة الأقمـار الـصناعية التجسسية، ووكالة الصور والخرائط.

2-سياسات الدفاع :- تضمنت تغييرا فـي طبيـــعة التكتيكـات والعـقيدة العسكرية، وزيادة الميزانية والتدريب المتخصص بمكافحة الإرهاب، وضـمن التغير الذي أصاب التكتيكات والعقيدة العسكرية كان الـرد الأمريكـي علـى اعتداءات 11 سبتمبر شاملا ومختلفا عن السابق، حيث استهدف القضاء علـى تنظيم القاعدة وإسقاط نظام الحكم في أفغانستان بحيث أتاحت هـذه التجربـة فرصة تطوير القوات المسـلحة الأمريكية، وتطوير الأسـلحة عاليـة الدقـة (كمال، 2002).

إن هذا المسار السياسي الأمريكي الذي بدأ مع وصول جورج بوش الابـن إلى السلطة واستخدامه لعبارات مثل "الحرب الصليبية" و " من لـيس معنـا فهـو ضدنا" يشكل التطبيق الكامل لنظرية وأجندة المحافظين الجدد، مما يـدل علـى أن الإطار العام الذي يحكم توجهات هذه الإدارة هو الطابع الو احدي في التفكير، الذي لا يحفل بأية مؤثرات خارجية كالمجتمع الدولي أو داخلية كالرأي العام، وقـد أدت هذه الطبيعة إلى اعتناق ثلاثة مبادئ أصبحت هي الأساس في التوجهات الـسياسية الأمريكية وهي الاعتقاد الراسخ بسمو المصلحة الأمريكية على غيرها، بحيـث لا يسمح لدولة أخرى أن تعارض أو تمنع تحقيق هذه المصلحة، والإيمـان بـالتفرد والاستعلائية Superiority الأمريكية حتى وان تطلب ذلك القيام بهجوم اسـتباقي واستخدام الأداة العسكرية لتحقيق المصالح الأمريكية، كما اعتنقت هذه الإدارة مبدأ التدخلية الإجبارية Obligatory Intervention منتهكة بذلك مبدأ السيادة وحـق الدول الأخرى في ممارسة سلطاتها على أراضيها (العناني، 2005).

الفصل الخامس

التطبيق العملي لنظرية المحافظين الجدد: الحالة العراقية أنموذجا

لقد تبنى المحافظون الجدد هدف احتلال العراق والإطاحة بالرئيس الشهيد صدام حسين منذ عقد التسعينيات من القرن الماضي، وذلك تطبيقا لنظرية " الفوضى البناءة " و " الحرب الاستباقية " في محاولة لإعادة ترتيب منطقة الشرق الأوسط بما يتناسب والطموحات الأمريكية في السيطرة على منابع النفط، والتمركز الاستراتيجي في أواسط أسيا، ضمن المساعي الرامية إلى بناء الإمبراطورية الأمريكية. وسنحاول في هذا الفصل توضيح مساعي المحافظين الجدد والإدارة الأمريكية لتحقيق هذه الأهداف، من خلال شن الحرب على العراق وضمن مقتربين نظريين الأول يسلط الضوء على أوضاع ما قبل الاحتلال والجدل الفكري والسياسي وتبريرات الحرب، والثاني يهتم بأوضاع ما بعد احتلال العراق والتورط الأمريكي في المستنقع العراقي، وذلك من خلال مبحثين:

1.5 المحافظون الجدد والعراق قبل الاحتلال

لقد بدا وضحا خلال عقد التسعينيات من القرن الماضي أن المحافظين الجدد قد تبنوا هدف الإطاحة بالنظام العراقي السابق رسميا، ويبدو هذا الوضوح من خلال الرسائل التي وجهها " مشروع القرن الأمريكي الجديد" المعبر عن آراء المحافظين الجدد، إلى الرئيس الأمريكي بيل كلينتون والرئيس جورج بوش الابن والى زعيم الأغلبية في مجلس النواب ترنت لوت Trent Lott و المتحدث باسم مجلس النواب نيوت غينغريتش Newt Gingrich؛ ففي السادس من كانون ثاني عام 1998 وجه المحافظون الجدد رسالة إلى الرئيس بيل كلينتون ينتقدون فيها السياسة الأمريكية تجاه العراق ويعتبرونها غير ناجحة، كما يحذرون فيها من " تنامي الخطر العراقي "، مشيرين إلى فشل سياسة احتواء النظام العراقي، وتراجع القدرة الأمريكية على التأكد من عدم تطوير العراق لأسلحة الدمار الشامل، وخصوصا الأسلحة الكيماوية والبيولوجية بسبب عدم تمكن فرق التفتيش من الدخول إلى بعض المواقع العراقية الحساسة –كما يزعمون-، وهو الأمر

الذي قد يحد من قدرة الولايات المتحدة -حسب وجهة نظرهم- من حماية جنودها في المنطقة، وعدم قدرتها كذلك على حماية حلفائها مثل إسرائيل وبعض الـدول العربية، إضافة إلى عدم القدرة على حماية مصادر الطاقة " النفط ". وقـد وقـع على هذه الرسالة عدد من رموز المحافظين الجدد منهم إليوت أبرامز، ريتـشارد بيرل، جون بولتون، ريتشارد آرميتاج، بول وولفويتز، دونالد رامـسفيلد، وليـام كريـستول، فرانسيس فوكوياما، زلماي خليل زاده، وروبرت كاغـان (New American Century1, 1998).

كذلك، وفي العشرين من سبتمبر عام 2001 أي بعد تسعة أيام من أحـداث الحادي عشر من سبتمبر، وجه المحافظون الجدد عبر " مشروع القرن الأمريكي الجديد " أيضا، رسالة إلى الرئيس جورج بوش الابن، عبروا فيها عـن دعمهـم للحملة الأمريكية العالمية ضد الإرهاب، ويحثون فيها صراحة علـى ضـرورة الإطاحة بنظام الرئيس صدام حسين، معتبرين أنه – أي صـدام حـسين رحمـه الله- " واحدا من أكبر الإرهابيين على وجه الأرض "، لذا فإنهم يدعون إلى إزالة هذا النظام، حتى ولو لم يثبت تورطه فـي الهجمات – المقصود هجمات الحادي عشر من سبتمبر- أو علاقته بتنظيم القاعدة، وذلك عبر حـشد الـدعم المـالي والعسكري اللازمين لذلك (NewAmerican Century, 2001).

وفي رسالة أخرى إلى زعيم الأغلبية في مجلس النواب ترنت لوت Trent Lott والى المتحدث باسم مجلس النواب نيـوت غينغـريتش Newt Gingrich عبر المحافظون الجدد، عن ضرورة تغيير مسار السياسة الخارجيـة الأمريكيـة تجاه العراق، حيث اعتبروا أن المصالح الحيوية للولايات المتحدة وحلفائها فـي منطقة الشرق الأوسط، سوف تشهد تحديات غير معهـودة، لـذا فقـد أوصـوا بضرورة تغيير السياسة المتبعة مع العراق، فبدلا من سياسـة احتـواء الـرئيس صدام حسين، فان التهديدات التي تواجهها الولايات المتحدة ومصالحها لا يمكـن حمايتها – من وجهة نظرهم – إلا بتبني سياسات تقود إلى إزالة صـدام حـسين ونظامه من السلطة، عبر عدد من السياسات والخطوات الإجرائية التي تقود إلى ذلك، ومنها الطعن في شرعية الرئيس صدام حسين وإعلانه مجرم حرب، وتقديم

الدعم السياسي والمالي والعسكري لحكومة عراقيـة لا تخضع لصدام، وتعـزيز الوجود العسـكري الأمريكي في الخليج، وعدم التـردد فـي اسـتخدام القـوة العسكرية لإزالة نظام الرئيـس صدام حسين (New American Century2, 1998).

لذلك فقد قدمت الإدارة الأمريكية وبحث المحافظون الجدد قبل وأثناء وبعـد سقوط بغداد في 9 أبريل 2003 مجموعة مـن التبريـرات لإقنـاع الـشارع الأمريكي، و الرأي العام العالمي بشرعية الحرب، ويمكن تلخيص هذه المبررات بمايلي(الموسوعة الحرة، 2007):

1- استمرار حكومة الرئيس العراقي السابق صدام حسين في عدم تطبيق قـرارات الأمم المتحدة، المتعلقة بالسماح للجان تفتيش الأسلحة بمزاولـة أعمالهـا فـي العراق. ومن الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية وضعت مهلة نهائية لبدأ العمليات العسكرية بينما كانت فرق التفتيش تقوم بأعمالها في العراق.
2- استمرار حكومة الرئيس العراقي السابق صدام حسين بتصنيع و امتلاك أسـلحة دمار شامل وعدم تعاون القيادة العراقية في تطبيق 19 قرارا للأمم المتحدة بشأن إعطاء بيانات كاملة عن ترسانتها من أسـلحة الدمار الشامل، التي لم يتم العثور عليها في العراق.
3- وجود علاقات لحكومة الرئيس السابق صدام حسين مع تنظيم القاعدة و منظمات "إرهابية" أخرى تشكل خطرا على أمن و استقرار العالم، وهو الأمر الـذي تـم نفيه؛ ففي 29 يوليو 2004 صدر تقرير من هيئة شكلت من قبل مجلس الشيوخ لتقصي حقيقة الأمر وتبين بعد جهود حثيثة من الهيئة انه لا دليل ملموس علـى ارتباط صدام حسين بتنظيم القاعدة. وفي سبتمبر 2005 نفى وزيـر الخارجيـة آنذاك كولن بأول وجود أي علاقة بين الطرفين (O'Neill, 2004).
4- نشر الأفكار الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط.

وقد تعرضت التبريرات التي قدمتها الإدارة الأمريكية إلى انتقادات واسعة النطاق بدءا من الشارع الأمريكي إلى الرأي العام العالمي، وانتهـاء بـصفوف

بعض المعارضين لحكم صدام حسين، الذين يؤمنـون أن الأهـداف الأمريكيـة الحقيقية في العراق كما يمليها المحافظون الجدد، يمكن تلخيصها في الآتي:

1- الهيمنة على سوق النفط العالمية ودعم الدولار الأمريكي حيث أن صدام حسين كان قد اتخذ قرارا عام 2000 باستعمال اليورو كعملة وحيدة لـشراء الـنفط العراقي (Vernon, 2004).
2- ضمان عدم حصول أزمة وقود في الولايات المتحدة بسيطرتها بصورة غير مباشرة على ثاني اكبر احتياطي للنفط في العالم (Paul, 2002).
3- المصالح الشخصية لبعض شركات الأعمال و الدفاع الكبرى فـي الولايـات المتحدة (Ydstie, 2003).
4- دعم واستمرار الشعبية التي حظي بها الحزب الجمهـوري الأمريكـي إبـان أحداث سبتمبر 2001 بغية استمرار هيمنة الحزب على صنع القرار السياسي في الولايات المتحدة.
5- انتقام شخصي من جورج بوش الابن بحق صدام حسين لـضلوعه – حـسب زعمه - في محاولة اغتيال والده في الكويت عام 1993 (King, 2002).
6- إنجاز المهمة التي لم يكملها والد جورج بوش الأب في حرب الخليج الثانية.

وفي الواقع فان الحرب على العراق لم تتوقف منذ عام 1991 بعد تحرير الكويت، حيث اتخذت أشكالا أخرى بعد ذلك العـام؛ اقتـصادية ونفـسية عبـر الحصار الاقتصادي ونظام العقوبات الأشد قسوة في التاريخ، إضافة إلى استمرار الطائرات الأمريكية والبريطانية بتنفيذ الغارات الجوية المتلاحقة علـى العـراق، لضرب بعض الأهداف ومنها أنظمة الرادار والدفاع الجوي تحديدا، حيث نفـذت هذه الطائرات منذ عام 1991 إلى عام 2001 ما مجموعه 33397 غارة جوية، بالإضافة إلى تواصل أعمال لجان التفتيش عن الأسلحة العراقية المزعومة عبـر عدد من اللجان المشكلة من مجموعة كبيرة من الخبراء الدوليين، وكان من أهـم هذه اللجان لجنة الاونسكوم برئاسة ريتشارد بتلر، ولجنة الانموفيك برئاسة هانس بليكس (بشارة، 2005).

غير أن نزوعا واضحا داخل أوساط الجمهوريين نحو توجيه هجوم سـريع ضد العراق كان موجودا، ويتزعم هذا التوجه المحـافظون الجـدد والأوسـاط الموالية لإسرائيل، الذين يعتقدون أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أخطأت خطأ فادحا عام 1991 عندما لم تسمح لقواتها بالزحف نحو بغداد وإسقاط النظام. وقد طالب هؤلاء في اجتماع عقد بعد ثمانية أيام من أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 في العاصمة الأمريكية، وضم ثمانية عشر خبيرا سياسيا، من بيـنهم هنري كيسنجر والأدميرال دافيد جيرمايا، والمحافظ المتشدد نويـت غينغـريتش المتحدث باسم مجلس النواب، والرئيس السابق للمخـابرات الأمريكيـة جـيمس ولسي، وريتشارد بيرل، طالبوا بضرورة إزاحة النظام العراقي ضـمن الحملـة على الإرهاب. فأرسل المجتمعون خطابا إلى الرئيس الأمريكي، يؤكدون فيه على أن ضرب أفغانستان ومهاجمتها دون إسقاط العمق العراقي، سوف يكون بـدون جدوى (بشارة، 2005).

وقد اتفق ذلك مع توجهات وزير الدفاع الأمريكي آنذاك دونالـد رامـسفيلد وكونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي في ذلـك الوقـت وزيـرة الخارجيـة الأمريكية حاليا، وهما اللذان يريدان الإطاحة بالنظام العراقي لـيس مـن أجـل الشعب العراقي، بل لتنفيذ مخطط أكبر وأوسع، وهـو المـشروع الاسـتراتيجي للمحافظين الجدد الرامي إلى إعادة ترتيب منطقة الشرق الأوسـط ككـل، عـن طريق خلق واقع جديد في المنطقة وتبديل الأدوار، بحيث يبدأ المخطـط بتغييـر النظام في بغداد ثم خلق فيدرالية عراقية موالية لواشـنطن، تـستطيع بناء دولـة ديـموقراطية حديثة تكون نموذجا في المنطقة، وتحقق هدف الولايات المتحدة في السيطرة على منابع النفط، إضافة إلى حل الصراع العربي – الإسـرائيلي بمـا يضمن أمن وازدهار إسرائيل. كما توافق هذا المخطط مع مشاعر الحقد والانتقام التي يكنها الرئيس بوش الابن للنظام العراقي الذي –وكما يزعم- حاول اغتيـال والده بوش الأب أثناء زيارته إلى الكويت عام 1993، وهذا الحقد عبر عنه بوش الابن بعد أسابيع من توليه الرئاسة، عندما وجه ضربة صاروخية إلى العاصـمة العراقية بغداد دون سبب يذكر (بشارة، 2005).

لقد قام المحافظون الجدد وإدارة الرئيس بوش الابن باختلاق الكثيـر مـن سيناريوهات الرعب نتيجة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وعلى الرغم من أن إدارة الرئيس بوش الابن لم تنجح بربط العراق بهذه الأحداث، إلا أن المحافظين الجدد والإدارة الأمريكية وبريطانيا لم يترددوا في تقديم أدلة مزيفة للأمم المتحدة من أجل تبرير الحرب على العراق ومنها قضية اليورانيوم المستورد من النيجر. فالادعاء بخصوص الإيمان العميق بالمسيحية والدور الرسالي الأخلاقي لم يمنعا بوش الابن من الكذب والافتراء على القيادة العراقية لتبرير الحرب، وهو الأمـر الذي يلقي المزيد من الضوء على الشخصية المشوشة والحاقدة للـرئيس بـوش الابن. كما أن مستشاري الرئيس آمنوا أيمانا مطلقا بـضرورة اسـتخدام القـوة العسكرية وقائيا بغض النظر عن الدليل؛ فبول وولفويتز (من المحافظين الجـدد) الذي نظر للحرب على العراق بأنها لا تحتاج إلى دليل، يؤكد على تصور النيات والقدرات، أما الأدلة القاطعة فهي ضرورية فقط من وجهة نظر القـانون وفـي الحالات القضائية. وهذا ما شكل جوهر مفهوم الحرب الوقائية، التي كان العراق النموذج الأول لتطبيقها، فقد تم شن الحرب عليه لمجرد احتمال انه قد يهاجم يوما ما بأسلحة دمار شامل، وقد كان ذلك ذريعة فقط لتحقيق الهدف النهائي للمحافظين الجدد وإيديولوجيتهم الداعية إلى بسط النفوذ الأمريكي المطلق في عـالم جديـد ووحيد القطب (عاروري، 2003).

ولقد لخص تقرير مؤسسة ستراتفور الأمريكية هذه السياسة بقوله:

" إن **محور سياسة إدارة بوش، هو محاولة متعددة الأوجه لتوطيـد هيمنـة اقتـصادية وسياسية وعسكرية دائمة للولايات المتحدة، وتتطلب هـذه الـسياسة تعـديل أو تحطـيم جماعات أو دول أو منظمات لديها القدرة على الحد من أو منع حرية واشنطن في العمل في أي وقت وفي أي مكان وبأية طريقة ... إن العراق هو نقطة التقاطع الواضحة بين الأهداف الاستراتيجية الأمريكية وصناعة النفط** " (ستراتفور، 2003، ص 69).

ولقد جاءت إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي التي أعلن عنهـا الـرئيس الأمريكي بوش الابن عام 2002 لتعكس رؤية وأيديولوجية المحـافظين الجـدد، وكان العراق هو الهدف المثالي والنموذجي لتطبيق هذه الرؤية كونه قد وصـل

إلى الحالة القصوى من الإنهاك بعد حرب الخليج الثانية وبعد سنوات طويلة من الحصار الاقتصادي، وكونه يلبي مطالب الشركات العملاقة في صناعة النفط والسلاح، ويلبي الحاجة الجيواستراتيجية الأمريكية في المنطقة الممتدة من شبه الجزيرة الهندية إلى البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، كما تستجيب هذه الحرب للرغبات الإسرائيلية، ورغبات جماعة المحافظين الجدد في واشنطن (المصري، 2003).

وضمن ذلك السياق، فإن الولايات المتحدة تعتبر نفسها صاحبة دور رسالي يهدف إلى تحرير البشرية والدفاع عن حقوق الإنسان، كما اعتبرت أن لها الحق في شن حروب وقائية في أي مكان في العالم لتحقيق أهدافها، وجاءت هذه الأفكار بالاعتماد على الدراسات والخطط الاستراتيجية التي أعدها المحافظون الجدد في عدد من مراكز الأبحاث لضمان السيطرة الأمريكية على العالم وعلى موارد النفط في الشرق الأوسط. وقد مثل احتلال العراق ذروة هذه الاستراتيجية على الرغم من الاعتراضات والانتقادات العنيفة داخل أمريكا وخارجها.

وقد استطاعت الإدارة الأمريكية أن تقنع جزءاً كبيراً من الرأي العام الأمريكي بضرورة الحرب، وذلك عبر توظيف هاجس الخوف والرعب من الأعمال الإرهابية، حيث عمدت الإدارة الأمريكية والمحافظون الجدد إلى إغراق المجتمع الأمريكي بسلسلة من الأكاذيب حول علاقة العراق بالإرهاب والإرهابيين، وحول امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل، واستخدام وسائل الإعلام لبث هذه الأكاذيب لتكريس حالة الخوف هذه، عبر تضخيم قدرة العراق والإرهابيين على الفعل والتدمير (غزال، 2005)، وفي هذا الصدد يقول المفكر والكاتب الأمريكي وليام بولك :

" لقد التصقت صيحات الرعب والخوف بعقول الأمريكيين لدرجة أن استطلاعات الرأي العام أظهرت أن سبعة من كل عشرة أمريكيين يعتقدون أن النظام العراقي كان يعمل مع أسامه بن لادن وتنظيم القاعدة في إعداد هجمات 11 سبتمبر 2001" (بولك، 2005، ص 10).

ويقول نعوم تشومسكي حول تأثير وسائل الإعلام التابعة للمحافظين الجدد في الرأي العام الأمريكي، في مقالة له نشرتها مجلة المستقبل العربي في عددها رقم 297 :

" لقد كان للهيمنة الإعلامية أثرها، فخلال أسابيع بدأ معظم الأمريكيين يعتقدون أن صدام حسين خطر داهم على الولايات المتحدة، وسرعان ما اعتقد معظمهم بأن العراق وراء أحداث 11 سبتمبر 2001 الإرهابية، وقد اقترن دعم الحرب بهذه الاعتقادات، كانت البروبوغندا كافية لتمنح الإدارة أغلبية في انتخابات الكونغرس النصفية، حيث تناسى الناس همومهم العاجلة واحتشدوا تحت مظلة القوة خوفا من عدو شيطاني" (تشومسكي، 2003، ص 40).

لذلك فقد كان العراق مستهدفا قبل موضوع أسلحة الدمار الشامل وقبل حرب الخليج الثانية عام 1991، وحتى قبل دخول العراق إلى الكويت في شهر آب عام 1990، وبدا ذلك واضحا من خلال العديد مـن كتابـات المفكـرين والـساسة الأمريكان حول العراق، ومنهم الجنرال نورمان شوارزكوف الذي قـاد قـوات التحالف في حرب الخليج الثانية، حيث قام بزيارة إلى منطقة الخليج العربي عام 1989 بعد تعيينه قائداً للقيادة المركزية الأمريكية، وقدم تقريرا حـول الأخطـار التي تهدد مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، وذكر في هذا التقرير أن العراق يشكل الخطر الأول والرئيسي على المصالح الأمريكية. ونتيجة لهذا التقييم، قادت الولايات المتحدة حملة إعلامية واسعة ضد العراق أثيرت خلالها قضية المـدفع العملاق، وذلك لتهيئة الرأي العام بالتحولات السياسية المرتقبة تجاه العراق. وقد قامت الولايات المتحدة بتحديد مواقع القصف والأهداف العراقيـة قبـل دخـول العراق إلى الكويت، ومنذ ذلك الوقت والعراق حاضر بقـوة فـي المخططـات والدراسات الاستراتيجية ومراكز البحوث والفكر الأمريكيـة، إلـى أن وصـل المحافظون الجدد إلى مراكز صنع القرار السياسي في الولايات المتحدة، لتظهـر مفاهيم جديدة في العلاقات الدولية مثل الحرب الوقائية والفوضى البناءة والزعامة الأمريكية، ويصبح العراق الضحية الأولى لهذه المفاهيم لأنه ببساطة كان الحلقـة الأضعف والأكثر غنى في نفس الوقت (حسيب، 2004).

فالأهداف غير المعلنة للغزو الأمريكي للعراق تمركزت حول محورين رئيسيين: الأول يتعلق بالنفط، فقد برز العامل الاقتصادي كمحور أساسي من محاور القوة؛ فبعد انهيار الاتحاد السوفييتي، قررت الولايات المتحدة أن لا تسمح لأي قوة أخرى أن تنافسها، وكان الاتحاد الأوروبي يبرز كعملاق اقتصادي يتفوق على أمريكا من ناحية الدخل القومي الإجمالي، وكانت الصين تصعد كذلك بمعدلات نمو كبيرة يتوقع لها أن تصل إلى مستوى الناتج القومي الأمريكي بحلول عام 2020، وهناك اليابان والهند أيضا، ولان الولايات المتحدة لا تريد لأي من هذه القوى أن تنافسها فقد كانت ورقة النفط هي ورقة الضغط الاستراتيجي كونها في حال الإمساك بها، ستتحكم في تصدير النفط وبالتالي عملية العرض في الأسواق، مما يعني التحكم بالسعر، وهو الأمر الذي يضع كل القوى السابقة تحت رحمة الشروط الأمريكية، ويحد بالتالي من قدرتها على منافسة أمريكا (حسيب، 2004). فحول موضوع النفط كهدف غير معلن للاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، يقول المفكر والكاتب عبد الحي زلوم :

" إن سبب الاندفاع المفاجئ نحو العراق واستعجال بوش في اتخاذ قرار الحرب على العراق يتعلق بما أطلق عليه اسم الذروة النفطية، ويعود التوقيت وسرعة اتخاذ القرار بالحرب إلى الصدمة القاسية التي تلقتها الخطط الاستراتيجية الأمريكية الخاصة بنفط بحر قزوين، حيث انتهت الأحلام الأمريكية بالعثور على احتياطات نفطية فيه تعوضها عن نفط الشرق الأوسط ولو مؤقتا بالفشل،... لقد كانت التوقعات بان منطقة بحر قزوين تضم احتياطات هائلة تقدر ب 200 مليار برميل من النفط لدرجة انه أطلق عليها اسم السعودية الجديدة، وقد كانت هذه الاحتياطات جزءا أساسيا من خطة أعدها نائب الرئيس ديك تشيني عام 2001 والتي تشير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية ستستورد حوالي 90% من نفطها بحلول عام 2020، الأمر الذي يكسب نفط منطقة بحر قزوين أهمية خاصة ويقلل من اعتماد الولايات المتحدة على نفط الشرق الأوسط، غير أن الاستكشافات النفطية في القزوين جاءت مخيبة للآمال، حيث تبين أن الاحتياطي اقل بكثير مما كان متوقعا عدا عن النوع الرديء للنفط المستخرج، بعد ذلك عاد التركيز ثانية إلى نفط العراق والسعودية، لقد اختارت واشنطن العراق لإقامة قلعة عسكرية حصينة لها في المنطقة تستطيع من خلالها السيطرة على الدول النفطية المجاورة

مستقبلا، مثل إيران والسعودية وباقي دول الخليج في نهاية المطاف" (زلوم، 2005، ص 36).

ويلمح الكاتب محمد عبد العزيز ربيع إلى أهمية النفط العراقي للولايات المتحدة إضافة إلى أهمية الجغرافيا السياسية للعراق كهدف من الأهداف الأمريكية أيضا:

" أن السيطرة على بترول العراق لم تستهدف فقط خدمة الاقتصاد الأمريكي بل وأيضا استخدام بترول العرب أداة لتهديد منافسي أمريكا من دول صناعية أوروبية وآسيوية، ... بترول العراق مهم جدا بالنسبة للاستراتيجية الكونية الأمريكية، لكن التواجد العسكري الأمريكي على الأرض العراقية يعتبر اكثر أهمية لأنه يضمن استمرار تدفق النفط، ويضمن استخدام القوة العسكرية لإرهاب الدول المجاورة وخاصة إيران والسعودية، هذا هو الهدف؛ ولكن الإنجازات جاءت مخيبة لآمال بوش، إذ تسببت الحرب على العراق في إلحاق خسائر كبيرة في الاقتصاد الأمريكي، وسمعة أمريكا على المستوى الدولي وتحطيم القوة الأخلاقية التي كانت تتمتع بها الولايات المتحدة، وإظهار حدود القوة العسكرية وضعف إمكانياتها على تحقيق أهداف استراتيجية بعيدة المدى" (ربيع، 2005، ص 21).

أما الهدف الثاني غير المعلن فهو أمن إسرائيل، وقد كان العراق عقبة رئيسية في طريق التسوية الأمريكية بين الدول العربية وإسرائيل، لذا فان العراق – بالنسبة للأمريكان – هو الخطوة الأولى في استراتيجيتها الرامية إلى إعادة ترتيب المنطقة بناء على أيديولوجية المحافظين الجدد (حسيب، 2004)، وهو ما بدا واضحا من خلال العديد من الكتابات التي تناولت المكانة الإسرائيلية في الاستراتيجية الأمريكية، ومنها ما كتبه الكاتب فاهان زانويان في مجلة مركز الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية التي تصدرها جامعة الكويت، حيث قال :

" يرى المحافظون الجدد بان احتمال أن يشكل العراق تهديدا لإسرائيل تبريرا كافيا لقيام الولايات المتحدة بعمل عسكري منفرد ضد العراق، ولكن صعوبة إقناع الإدارة والشعب الأمريكي بالهجوم على العراق جعلهم يستخدمون أوراق أخرى مثل زعمهم ارتباط العراق بعلاقة مع تنظيم القاعدة وأسلحة الدمار الشامل" (زانويان، 2002، ص7).

و يقول الكاتب والمفكر نصير عاروري أيضاً :

" أن الحرب على العراق تشكل استراتيجية إسرائيل لما بعد أوسلو، فلم تكن هـذه الحرب مجرد استكمالا للحرب التي بدأت عام 1991، بل تتضمن أهدافا وأبعـادا أخرى تصب في مصلحة إسرائيل، وتتعلق بإعادة رسم خريطة الـشرق الأوسـط ووسط آسيا، بما يتلاءم والمصلحة الإسرائيلية، وهذه الحرب هي حـرب صـقور المحافظين الجدد في الإدارة الأمريكية، وفي مراكز الدراسات اليمينية المناصـرة لإسرائيل، فمن المعروف أن معظم المحافظين الجدد يرتبطون بعلاقات وثيقة مـع حزب الليكود الإسرائيلي، فزعماء الدعوة إلى الحرب في الولايات المتحدة هم من أعز أصدقاء إسرائيل والمساعدين المقربين لقادتها العسكريين والسياسيين، وهـم ممن يناصرون الإجراءات الوحشية ضد الفلـسطينيين" (عـاروري، 2003، ص ص20-24).

لقد كانت الولايات المتحدة حاسمة في تأييدها وانحيازها لصالح إسرائيل منـذ عام 1948، حيث نظرت إلى إسرائيل على أنها حليف استراتيجي وقاعدة متقدمة في المنطقة، إذ أيدت العدوان الإسرائيلي عام 1967 ودعمت إسـرائيل بـشكل كبير عام 1973، ووفرت الغطاء السياسي والعسكري اللازم لغزو لبنـان عـام 1982، ووقفت دائما ضد الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني. وخـلال الفتـرة الممتدة من اتفاقيات أوسـلو 1993 ولغاية الآن كانت الولايات المتـحدة تقـف إلى جـانب إسرائيل دائما، وبعد 11 سبتمبر 2001 توحدت النظرتان الأمريكية والإسرائيلية تجاه ما يسمى الإرهاب، حيث اعتبرت الولايات المتحدة المقاومـة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي عملا من أعمال الإرهاب (غزال، 2005). وهو الأمر الذي يدل على مدى الترابط الأمريكي الإسرائيلي، وهو ما أطلق عليه الكاتب جدعون سامت بـ" اسرلة أمريكا وأمركة إسـرائيل، عنـدما قـال: " إن السلوك المتجبر في عهد بوش يجب أن يسمى اسرلة أمريكا وأمركـة إسـرائيل" (سامت، 2006، ص42).

لقد أدركت الولايات المتحدة الأمريكية جيدا أهمية العراق وإمكاناته الكامنـة بشرياً وعلمياً واقتصادياً وكان لابد لها من تحييده وتفكيكه وعزله عن منظومتـه العربية وسلخه عن جسده الطبيعي وعمقـه الاسـتراتيجي وإضـعافه وإفقـاره لإخراجه من المعادلة الشرق أوسطية الصعبة. فالعراق هو البلد العربي الوحيـد

الذي تجرأ على ضرب إسرائيل، لذلك كان لابد من جعله قدوة لمن يفكر بالإقدام على خطوة مماثلة ضد إسرائيل. فدخول أمريكا الحرب ضد العراق لم يكن فقـط لضرورات أمنية واستراتيجية أمريكية بحتة بل لتأمين سلامة وأمن إسرائيل ومنع نشوء أية قوة مهددة لوجودها مستقبلاً، فمصلحة إسرائيل وصقورها كانت علـى رأس المعطيات والعناصر التي أخذتها أمريكا في الاعتبار، في تعاملها مع الملف العراقي(بشارة، 2007).

وقد حصل ما تم التخطيط له بعناية ونفذ بحذافيره وكانـت إسـرائيل هـي الوحيدة التي تعرف ساعة الصفر بعد بوش، فالتطبيق العملي لسياسة المحـافظين الجدد تجلى في الملف العراقي، عندما تجاهلت واشنطن الـرأي العـام العـالمي وهمشت الأمم المتحدة ومنـعتها من لعب دورها الطبيعي فـي حـل النزاعـات الدولية بالطرق السلمية، واستبعدت العالم العربي ومنعته من الإسهام في إيجـاد الحلول الملائمة التي تمنع وقوع الحرب. فنية مهاجمة العراق وغزوه كانت مبيتة خاصة وأن العراق هو أحد أهم الدول المنتجة للنفط وصاحب أكبـر احتيـاطي نفطي عالمي مثبت بعد المملكة العربية السعودية وربما يفوقها (بشارة، 2007).

لذا فقد عملت الولايات المتحدة الأمريكية على إصدار مجلس الأمن للقـرار رقم 1441 الذي دعا إلى عودة لجان التفتيش عن الأسلحة إلى العـراق، و فـي حالة رفض العراق التعاون مع هذه اللجان فانه سيتحمل "عواقب وخيمة" ، ولـم يذكر كلمة استعمال القوة في القرار رقم 1441، وعندما وافق عليه مجلس الأمن بالإجماع، لم يكن في تصور الدول التي صوتت عليه، أن العواقب الوخيمة كانت محاولة دبلوماسية من الولايات المتحدة لتشريع الحملة العسكرية؛ فقد أعلنت كـل من روسيا و الصين و فرنـسا أن القرار 1441 لا يعطي الصلاحية باسـتعمال القوة ضد العراق، وكان هذا الموقف هو نفـس الموقف الأمريكي و البريطـاني في بداية الأمر، ولكن موقف الولايات المتحدة تغير بعـد ذلـك، وذلـك بـسبب تصميمها على استهداف العراق عسكريا بغض النظر عن إجماع الأمم المتحـدة، في حين كانت بريطانيا وحتى أيام قبل بدأ الحملة العسكرية تحاول الحصول على قرار دولي صريح يشرع استخدام القوة، على عكس الإدارة الأمريكية التي بدت

غير مبالية كثيرا بالحصول على إجماع دولي، ويرجع هذا إلى الاختلاف الشاسع في وجهتي نظر الشارعين البريطاني و الأمريكي تجاه الحرب؛ فعلـى عكـس الشارع الأمريكي الذي كان اغلبه لا يمانع العمل العسكري، لقي رئيس الـوزراء البريطاني توني بلير معارضة شديدة من الشـارع البريطـاني، وحتـى فـي صفوف حزبه حزب العـمال (الموسوعة الحرة، 2007).

2.5 المحافظون الجدد والعراق بعد الاحتلال

في 20 آذار 2003 وفي الساعة 02:30 بتوقيت غرينتش أي بعد انقضاء 90 دقيقة على المهلة التي أعطاها جورج بوش الابن لـصدام حـسين ونجليـه بمغادرة العراق سمعت دوي انفجارات في بغداد، وبعد 45 دقيقة صرح الرئيس الأمريكي انه اصدر أوامره لتوجيه "ضربة الفرصة" التي استهدفت منـزلا كـان يعتقد أن صدام حسين متواجد فيه، ثم جاء الغزو بعد ذلك سريعا؛ فبعـد حـوالي ثلاثة أسابيع سقط النظام العراقي، وخوفا من تكرار ما حدث في حـرب الخلـيج الثانية، من إشعال للنيران في حقول النفط قامـت القـوات البريطانيـة بإحكـام سيطرتها على حقول نفط الرميلة وأم قصر والفاو بمساعدة القوات الأسترالية، ثم توغلت الدبابات الأمريكية في الصحراء العراقية، متجاوزة المدن الرئيسية لتجنب حرب الشوارع داخل المدن. كما حاصرت القوات البريطانيـة مدينـة البـصرة لأسبوعين قبل أن تستطيع اقتحامها بعد معركة عنيفة بالدبابات، اعتبرت اعنـف معركة خاضتها القوات المدرعة البريطانية، منذ الحرب العالمية الثانيـة. وتـم السيطرة على البصرة في 27 آذار، وفـي 9 نيـسان 2003 أعلنـت القـوات الأمريكية بسط سيطرتها على معظم المناطق في العراق، وتولى القائد العسكري الأمريكي تومي فرانكس قيادة العراق في تلك الفترة باعتباره القـائد العام للقوات الأمريكية. وبعد سـقوط بغـداد فـي 9 نيـسان 2003 ، دخلـت القـوات الأمريكـية مديـنة كركوك في 10 نيسان و تكريت في 15 نيـسـان 2003 (الموسوعة الحرة، 2007).

وبذلك شكل سلوك الولايات المتحدة انقلابا على مفهوم العلاقات الدولية، إذ ضربت بعرض الحائط اعتراضات الحلفاء والشرعية الدولية، إضافة إلى عدم

الإصغاء إلى الانتقادات والمعارضة الشعبية الواسعة للحرب، وذلك بسبب أيديولوجية المحافظين الجدد الرامية إلى هيكلة منطقة الشرق الأوسط، بما يتناسب مع الاستراتيجية الأمريكية والإسرائيلية، حيث تم تقديم هذه الاستراتيجية من خلال خطاب ديني أيديولوجي، يرى أن الولايات المتحدة تحمل رسالة "خلاصية" للعالم بالمفهوم الديني المسيحي، وتهدف إلى سيادة قوى الخير على قوى الشر، وترى أن الولايات المتحدة تمثل قوى الخير، لذا لابد لها من تحقيق الهيمنة الخيرة لقولبة العالم وإعادة تنظيمه (غزال، 2005)، وهذا ما يشير إليه الكاتب الأمريكي روبرت شير في مقالة له بعنوان " خيانة تينت "، إذ يقول:

" الولايات المتحدة لم تذهب إلى الحرب في العراق بسبب أسلحة الدمار الشامل فقط، إنني اشك في أن تكون هذه الأسلحة هي السبب الرئيسي، لكنها رغم ذلك كانت الواجهة التي قدمت للشعب الأمريكي... بمعنى آخر إن ذلك كان خدعة بلاغية لتبرير أجندة التدخل العسكري الاستعماري في الشرق الأوسط، التي أعدت قبل الهجمات بوقت طويل وكان الهدف هو خداع الأمريكيين ودفعهم لدعم إعادة تنظيم سياسات الشرق الأوسط، لتتناسب مع أحلام مجموعة صغيرة من المحافظين الجدد المخادعين الذين اندسوا في أعلى المراكز في الحكومة الأمريكية" (شير، 2007، ص52).

وعلى الرغم من الانتصار السريع الذي حققته الولايات المتحدة الأميركية في غزوها للعراق إلا أنه أوقع الولايات المتحدة الأميركية في ورطة حقيقية لا تعرف كيف تخرج منها، ولا سيما بعد أن بطلت مزاعم الإدارة الأميركية بعدم امتلاك العراق لأسلحة التدمير الشامل، فضلا عن تفنيد مزاعم العلاقات بين نظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين وتنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن. فالعراق لم يكن دولة إرهابية أو تشجع على الإرهاب، ولم تكن تربطه علاقة ذات مغزى بأي منظمة إرهابية على حد علم وكالات المخابرات الأميركية والبريطانية والإسرائيلية (السبعاوي، 2006).

إضافة إلى ذلك، فبعد سقوط بغداد قام الرئيس الأمريكي بإرسال فريق تفتيش برئاسة ديفيد كي الذي كتب تقريرا سلمه إلى الرئيس الأمريكي في 3 أكتوبر 2003 نص فيه انه " لم يتم العثور لحد الآن على أي اثر لأسلحة دمار

شامل عراقية"، وأضاف ديفيد كي في استجواب له أمام مجلس الشيوخ الأمريكي أنه " بتصوري نحن جعلنا الوضع في العراق اخطر مما كان عليه قبل الحرب" (Kay, 2004, p70).

وبعد بطلان الحجج الأمريكية واندلاع شرارة المقاومة العراقية، بدأ المشروع الأمريكي في العراق بالتعثر لأسباب كثيرة، كان من أبرزها الاستعجال في شن الحرب دون خطة واضحة لما بعد الاحتلال، فغياب الاستراتيجية الواضحة لمرحلة ما بعد الحرب أدى إلى ما تواجهه الولايات المتحدة الآن في العراق، إضافة إلى الانفراد بقرار الحرب. وفي هذا الجانب يذكر أن الحسابات الضيقة وسوء التقدير اللذان تميزت بهما السياسة الأمريكية، همش دور دول الجوار العراقي، مما ساعد على تفاقم الوضع هناك، علاوة على أن سوء إدارة الاحتلال للفترة الانتقالية بشكل عام، أي مجمل السياسات والآليات التي استخدمت في نقل السلطة، كانت تعبر عن الجهل الأمريكي بالواقع العراقي (النصراوي، 2005).

وقد بدأت العديد من الآراء المعارضة للحملة العسكرية الأمريكية بالظهور حول العالم بشكل محرج لإدارة الرئيس بوش الابن، فقد كان الغزو الأمريكي للعراق مخالفة للبند الرابع من المادة الثانية لميثاق هيئة الأمم المتحدة، و التي تنص على انه "لا يحق لدولة عضو في الأمم المتحدة من تهديد أو استعمال القوة ضد دولة ذات سيادة لأغراض غير أغراض الدفاع عن النفس" (الموسوعة الحرة، 2007). ومن الجدير بالذكر أن السكرتير العام للأمم المتحدة آنذاك كوفي عنان صرح بعد سقوط بغداد أن الغزو كان منافيا لميثاق الأمم المتحدة (bbc, 2004)، وكان هذا مطابقا لرأي السكرتير السابق للأمم المتحدة بطرس بطرس غالي. وفي 28 نيسان 2005 اصدر وزير العدل البريطاني السابق مذكرة نصت على أن أي حملة عسكرية هدفها تغيير نظام سياسي هو عمل غير مشروع (Palmer, 2005).

وقد زاد من حدة التورط الأمريكي في العراق عدد من السياسات الخاطئة التي ارتكبتها سلطة الاحتلال؛ كالإخفاق في استعادة القانون والنظام ومنع انتشار

أعمال النهب والاستخدام المفرط للقوة والاختيار القسري لقيادات البلد وفضائح سجن أبو غريب والحل الجماعي للجيش والاستبعاد بلا تمييز لأعضاء حزب البعث وتهميش العرب السنة، ساهمت في بلورة رأي عراقي يرى أن هذا الأمر مقصود ويرمي إلى إطالة أمد الاحتلال. وأصبح الكثير من العراقيين يرون أن واشنطن عازمة على نهب بلادهم وتدميره وليس إعادة أعماره (مجموعة الأزمات الدولية، 2005).

وقد بدا وضحا عقب أشهر فقط من الاحتلال الأمريكي للعراق وتصاعد أعمال المقاومة مدى التورط الأمريكي في المستنقع العراقي، وهو الأمر الذي حدا بحشد من السياسيين والأكاديميين الأمريكان إلى توجيه رسالة مفتوحة إلى الشعب الأمريكي والرأي العام يحثون فيها على ضرورة الضغط باتجاه تغيير السياسة الخارجية الأمريكية، جاء فيها:

"إننا ندعو دعوة ملحة إلى تغيير المسار في السياسة الخارجية وسياسة الأمن القومي الأمريكية، إننا نحكم بان السياسة الأمريكية الراهنة التي تتمركز حول الحرب في العراق هي اكثر السياسات ضلالا منذ فترة فيتنام. إن كثيرا من التبريرات المقدمة من إدارة بوش للحرب في العراق قد أثبتت عدم صحتها دراسات لها مصداقيتها، بما في ذلك دراسات قامت بها وكالات حكومية أمريكية، وليس هناك من دليل على أن العراق ساعد القاعدة، وترسانة العراق من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية أمرا لا يذكر، وبرنامجه للأسلحة النووية كان في النهاية أمرا لا وجود له... إن أخطاء السياسة أثناء احتلال العراق وإعادة أعماره قد خلقت وضعا في العراق أسوأ مما كان يتوقع أن يكون فيه..إن النتائج التي أسفرت عنها هذه السياسة هي نتائج سلبية بصورة ساحقة بالنسبة إلى المصالح الأمريكية" (رسالة مفتوحة إلى الشعب الأمريكي، 2004، ص 142).

كما وجه المشاركون في المؤتمر القومي العربي رسالة إلى زعماء العالم والرأي العام العالمي والكونغرس الأمريكي، يعبرون فيها عن ضرورة مواجهة التساؤلات الخطيرة عن مصداقية القانون الدولي، وكل ما يعنيه لحماية حقوق الشعوب والأفراد، فالعالم بأسره مهدد بالسقوط في حالة خطيرة من الفراغ الأخلاقي والقيمي نتيجة لسيادة قانون القوة والهيمنة، وعقلية المصادرة في

التعامل مع البلدان الأخرى، وهو الأمر الذي نتج عن الحرب غيـر المـشروعة التي شنت على العراق، فهي حرب لم يصدر بها أي تـفويض أو تخويـل مـن الأمم المـتحدة أو مجلس الأمن، فقد تم اجتياح العراق من جانب قوات أمريكيـة وبريطانية، انتهاكا لميثاق الأمم المتحدة الذي اشترط لأي عمل عـسكري يوجـه ضد دولة ذات سيادة، بان يكون دفاعا عن النفس ضد بلد يهدد باسـتخدام القـوة العسكرية، وفي هذا الصدد فان العراق لم يهدد أي بلد ولم يشكل خطـرا وشـيكا على الولايات المتحدة، وهو ما عرفه الجميع من الشهادة التي أدلى بهـا المـدير السابق لوكالة المخابرات الأمريكية أمام الكونغرس والتي أكد فيها على انـه لـم يذكر العراق في أي تقرير رفعه إلى الرئيس الأمريكي باعتباره يمثـل خطـراً وشيكاً على الولايات المتحدة(المؤتمر القومي العربي، 2004).

وفي سابقة هي نادرة الحدوث أن ينتقد رئيس أمريكي سابق رئيسا أمريكيـا حاليا، قال بيل كلينتون في مقابلة له نشرت في مجلة تايمز Time Magazine انه كان من الأفضل التريث في بدء الحملة العسكرية لحين إكمال فريـق هـانز بليكس لمهامه في العراق. ولكن جورج بوش الابن قال في 2 آب 2004 "حتى لو كنت اعرف قبل الحرب ما اعرفه الآن من عدم وجود أسلحة محظـورة فـي العراق فانني كنت سأقوم بدخول العراق". وفي 12 كانون ثاني 2005 تم حـل فرق التفتيش بعد فشلها في العثور على أسلحة محظـورة (الموسـوعة الحـرة، 2007، ص3). وهو الأمر الذي يلقي مزيدا من الضوء على الطابع الشخـصي الذي تناول فيه الرئيس بوش الابن المسألة العراقية وبتأثير المحـافظين الجـدد، باعتماد أسلوب المراوغة والتضليل، وهو ما يشير إليه وزير العـدل الأمريكـي الأسبق رامزي كلارك في الرسالة التي وجهها إلى الأمين العام الـسابق للأمـم المتحدة كوفي انان:

"إن واحدا من التفسيرات والمعاذير المراوغة الكثيرة والمتغيرة التي يقـدمها الرئيس بوش لتبرير حربه العدوانية لا يمكن أن يمحو جرائمه التي ارتكبها، لقـد كان من بين تصريحاته المضللة، الذي أعلنه يوم 20 كانون ثاني 2004 عنـدما قال: لقد حدد تقرير كاي Kay بالفعل عشرات من النشاطات المتعلقـة ببرنـامج

أسلحة الدمار الشامل وكميات هائلة من التجهيزات التي أخفاها العراق عن الأمـم المتحدة. وبعد ثلاثة أيام من هذا التصريح قال د. ديفيد كاي لوكالة الأنباء رويترز من الصحيح القول أن العراق لا يملك أي مخزونات ضخمة من الأسلحة الكيماوية أو البيولوجية، وأضاف انه لا دليل على أن أية أسلحة كيماوية أو بيولوجيـة قـد وجدت في العراق"(كلارك، 2004،ص ص132-133).

لقد كان من المفترض – وحسب الزعم الأمريكي - أن تتغير أحوال العراق إلى الأحسن، غير أن هذا الازدهار لم يأت أبـدا إلـى العـراق، فـالإجراءات الاقتصادية التي أجراها بول بريمر خلال صيف واحد في العراق فاقت كل مـا حققه البنك الدولي في أمريكا اللاتينية خلال ثلاثة عقود، فقد فـصل 500 ألـف عامل حكومي معظمهم من الجنود والأطباء والممرضين والمدرسين، ثم قام بفتح حدود البلاد على مصراعيها للواردات دون أية قـيود على الإطلاق لا رسـوم جمركـية ولا تفتيش ولا ضرائب، وأعلن بعد أسـبوعين من وصـوله بـان العـراق مفتوح لرجال الأعمال، ووضع موضع التنفيذ مجموعة من القوانين التي لم يسبق لها مثيلا في سخائها مع الشركات متعددة الجنسية، فقد خفـض معـدل الضرائب على المؤسسات من نحو 40% إلى ما لا يزيد علـى 15%، وسـمح للشركات الأجنبية أن تمتلك نسبة 10% من الأصول العراقيـة خـارج قطـاع المصادر الطبيعية، واصبح بإمكان المستثمرين أن يأخـذوا نـسبة 100% مـن الأرباح التي كونوها في العراق خارج البلاد، فلم يعد مـطلوبا منهم أن يعـيدوا اسـتثمارها ولا أن يدفـعوا ضرائب (كلاين، 2004).

كل هذا يدل ويؤشر بوضوح على طبيعة التفكير الأمريكي، ومدى التخـبط الأيديولوجي الذي وقعت به الإدارة الأمريكية، وهو ما تشير إليه الكاتبة نعـومي كلاين في مقالة لها حول يوتوبيا المحافظين الجدد:-

"كان الرئيس قد استسلم لرؤية المحافظين الجدد لتحويل العـراق إلـى دولـة شركات نموذجية من شأنها أن تفتح المنطقة كلها، هذه الإجـراءات تتخـذ فـي المنطقة الخضراء المليئة بجمهوريين صغار السن، آتين مباشرة مـن مؤسـسة تراث، عهد إليهم بمهمات لم يخطر لهم يوما أن يتولوها في الـوطن .. سـكوت

ايروين ابن الحادية والعشرين يساعد العراقيين علـى إدارة الأمـور الماليـة!!، الخبرة السابقة له كانت قيادة عربة بيع الايس كريم" (كلاين، 2004، ص32).

إن نتائـج السياسة الأمريكية بعد تفكيك الواقع الوطني العراقـي والحزبـي بشكل خاص، يشير إلى أن الهدف هو استمرار غياب الموقف الوطني الموحد في التعامل مع الاحتـلال ممـا "يمهـد لاستقـرار المحتـل لفترة أطول" (الصباح، 2004، ص24).غير أن النجاحات التي أصبحت تحققهـا المقاومـة العراقيـة ستجعل من البقاء مطولاً أمراً مكلفاً للغاية بالنسبة لقوات الاحتلال، وهـو الأمـر الذي تحاول سلطات الاحتلال التغطية عليه وعدم الاعتراف بما تحققه المقاومـة من انتصارات، عبر محاولة وصف المقاومة بأنها عبارة عن فلول النظام السابق والمتعاونين معهم من تنظيم القاعدة، " لم يبق فريق من فرق المقاومة العراقيـة مجهولا من حيث الهوية أو المنهج أو البرنامج أو الاستراتيجية، واتضح بمـا لا يدع مجالا لتصديق الادعاءات الأمريكية إن المقاومة اشمل من أن تحصر في فئة أو طائفة أو حزب أو حتى تيار" (حسيب، 2005، ص 17). وفي هذا الـصدد يشير تقرير لمجموعة الأزمات الدولية إلى أن :-

"المقاومة ليست مقصورة على عدد محدود من المتعصبين المعـزولين عـن السكان والذين يعارضون عراقا ديموقراطيا، إنما تغذيهم مشاعر عدم ثقة واسعة الانتشار بنيات الولايات المتحدة الأمريكية واحتقار لأعمالها... إن الخـوف الـذي كان يستشعره رجال المقاومة في وقت ما قد تلاشى الآن، فهم ينفذون عمليـاتهم بكل سهولة بين سكان يدعمونهم أو يخضعون لهم، المقاومة اليوم جيدة التنـسيق والبنية نسبيا، وحتى تلك الجماعات التي لا تعمل معا تتواصل الآن" (مجموعـة الأزمات الدولية، 2005، ص ص26-36).

وفي ظل هذه الظروف حاولت الولايات المتحدة التظـاهر بتحقيـق بعـض النجاحات أمام الرأي العام العالمي، وهكذا صدر ما سمي بـ " قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية" ، وجرى في 30 حزيران 2004 إعلان تشكيل مـا سمي بالحكومة المؤقتة برئاسة أياد علاوي، غير أن الوضع الأمني ظل يتردى تحت أعلام الاحتلال وفي وجود قواته، وكان هم قوات التحالف هو التظاهر بان ثمة تطورات نحو تسليم السلطة والسيادة للعراقيين والتظاهر بان الهجمات القوية

التي تشن على قواتهم وعمليات تصفية العملاء لا تؤثر في خططه، وجرى ذلـك في ظل سحابة قاتمة من الفضائح التي أحاطت بالاحتلال خـلال نـشر صـور التعذيب في سجن أبو غريب ، وهزت الفضيحة صورة أمريكا اكثر مما كانـت عليه في أي وقت مضى، وأظهرت حقيقة القوات الأمريكية التي يعتمد عليها تنفيذ استراتيجية الإدارة الأمريكية برئاسة بوش، إضافة إلى تسرب العديد من الفضائح الأخرى المتعلقة بالقتل والاغتصاب وغيرها (حسيب، 2005).

غير أن هذه المظاهر لم تكن لتقنع أحدا خصوصا مع تصاعد أعمال العنـف الطائفي، وهي النتيجة التي توصلت لها مجموعة الأزمات الدولية فـي تقريرهـا الذي أصدرته عقب دراسات طويلة، والتي توضح فيه " بأنه على الـرغم مـن الجهود التصحيحية النشطة والمتواصلة فان عملية التحول ما عاد يمكن أن تنجح بالأسلوب المتبع الآن منذ سقوط نظام حكم البعث، لقد أصـبحت عمليـة فاقـدة للمصداقية إلى حد مفرط وملوثة إلى حد مفرط" (المجموعة الدوليـة للأزمـات، 2005، ص 25).

وقد حاولت الولايات المتحدة أن تؤجج عملية الانقسام الطـائفي، بـين الـسنة والشيعة كي تسهل على نفسها عملية إحكام السيطرة، وذلك عبر تقـديم الـرئيس صدام حسين إلى محاكمة صورية، جرت تحت حراب الاحتلال، ومن ثم تسليمه إلى الحكومة العراقية المزعومة، وإعدامه في توقيت عبر عن استفزاز متعمـد، يدخل ضمن حسابات تأجيج النزاع بين السنة والشيعة، لغايـات توسـيع رقعـة الحرب الطائفية (درغام، 2007).

غير أن مشاهد عملية الإعدام التي بدا فيها الرئيس صدام حسين بكامـل هيبتـه وشموخه، جاءت بنتائج عكسية لم تتوقعها سلطات الاحتلال وحكومتها العميلـة، حيث اعتبرها البعض عملية اغتيال، وعبر عـن ذلـك العديـد مـن التعليقـات الصحافية، منها ما كتبه الصحفي الأرجنتيني غييرمو كافياسكا عندما قال:

"قد شاهد العالم يوم 30 كانون ثاني 2006 إعدام صدام حسين لم تـصدر كلمـة إدانة واحدة حول فظاعة العملية، ولم تذكر وسائل الإعلام أن الـرئيس العراقـي صدام حسين، كان الحاكم الشرعي وقد خلعته قوات غازية مـن دون تأييـد مـن

الرأي العام العالمي، ومن دون الشرعية الدولية، وبينما كان أسير حـرب... لقـد كان صدام حسين قائدا قوميا عربيا وواحدا من حركة أيقظـت الـوعي القـومي العربي ... لقد كانت المبادرات التي عرضها الأمريكيون واضحة الحيـاة مقابـل الخضوع، إلا أن رفض القائد ورده السلبي وإصراره على انسحاب الأعـداء مـن دون شروط، يعني اختيار الموت على الخيانـة.... إن تخطـيط قـوات التحـالف للانسحاب من العراق اجبرها على اغتيال الرئيس صـدام حـسين علـى عجـل" (كافياسكا، 2007، ص8).

لقد فشلت الولايات المتحدة في تحقيق أي من الاعتبارات الأساسية التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار لإعادة بناء الدول التي تزول بطرق عنيفة، ومنها وجـود عملية سياسية تحظى بشرعية وبدرجة كبيرة من الإجماع الوطني، وتحقيق مناخ من الأمن والاستقرار عبر بناء قوة أمنية وعسكرية قادرة علـى حفـظ الأمـن والسلام، إضافة إلى عملية إعادة بناء الاقتصاد وهيكلته بما يوفر درجة معينة من الرفاهية، ولا بد أن يرافق كل ذلك عملية جادة لإعادة بناء النـسيج الاجتمـاعي والنفسي والثقافي بما يتلاءم مع السياسة الجديدة. وهذا ما لم تستطع أمريكـا أن تحققه لغاية الآن في العراق (النصراوي، 2005)، بل على العكس من ذلك تماما فقد

" دمرت قوات التحالف دولة ولكنها غير قادرة على أن تؤسس دولة جديدة، وقد دمرت أيضا صيغة " صدامية " لأمة ولكنها ربما تكون قد بدأت مـشروعا وطنيـا جديدا يمكن أن يثبت أن له آثارا ضمنيه معاكسة لمخططات إدارة بوش للمنطقـة. وبالنسبة لإدارة جاءت إلى الحكم بنظرة محتقرة عن بناء الأمة فان مشروع بنـاء الأمة هو ما تفعله بالتحديد في العراق، ولكنها تفعل هذا عن جهل فاضح بأي نوع من الأمة كان العراق .. وما يمكن أن يصبح عليه العراق، إن بناء الأمة لن يكون سهلا كما توقع عقائديو إدارة بوش، إنها تتطلب إنهاء الاحتلال، وإقامة حكومـة شرعية، وتقوية المجتمع المدني، وإقامة هياكل وإجراءات حكومية شفافة وفعالة واشتراكية" (هدسون، 2003، ص ص79-83).

ووسط هذه ألإخفاقات المتلاحقة بدت الولايات المتحدة ليست فقط عـاجزة عن تحقيق نصر حاسم، ولكن غير قادرة على البقاء ما يكفي من الوقت لتحقيـق بعض أهدافها، وهو ما يدل على بداية انهيار المشروع الأمريكي - الـصهيوني

في المنطقة (نافعة، 2007)، ونتيجة لهذا الوضع تـصاعدت حـدة الانتقـادات الموجهة إلى الإدارة الأمريكية، وتهاوى الدعم الداخلي لها، إلى حد اتهـام الإدارة بالانفصال عن الواقع والتسبب بهزيمة أمريكا عسكرياً وسياسياً في العراق، وكما قيل:

" الرئيس بوش ليس على اتصال مع الشعب الأمريكي، ولا الجيش الأمريكـي ولا الواقعية السياسية الدولية فمع كل استطلاع للرأي يظهر تضاؤل الـدعم الـشعبي لبوش في حربه على العراق..لقد هزمت الولايات المتحدة الأمريكية فـي العـراق عسكريا من قبل قوة محدودة من المقاومة انبثقت عن 20% من الـسكان، كمـا هزمت سياسيا بانقسام العـراقيين كمـا هـو واضـح" (روبيـرتس، 2005، ص30).

وضمن هذه الأجواء حقق الديموقراطيون انتصارا كبيـرا فـي انتخابـات الكونغرس، مما أفقد حزب الرئيس الأغلبية في المجلس، وأدخل الإدارة في دوامة لا تعرف كيف تخرج منها، فمسئولي إدارة بوش يجدون أنفـسهم فـي مواجهـة سؤال صعب متى ينبغي أن ينتهي الاحتلال؟؟ هم يعتقدون أن انسحابا مبكرا يمكن أن يؤدي إلى فوضى، وان احتلالا طويلا يمكن أن يثير مقاومة منظمة لا نهايـة لها، وهو الأمر الذي قد يؤدي إلى تهاوي الدعم الداخلي للاحتلال إذا كان الـثمن الذي تدفعه أمريكا باهضا بمقاييس الدم والثروة (هدسون، 2003)

وقد حاول الرئيس بوش وبدعم من المحافظين الجدد، أن يخرج مـن هـذا المأزق عبر الإعلان عن استراتيجية جديدة في العراق، تتمثل بإرسال المزيد من الجنود للسيطرة على الأوضاع هناك، غير أن هذه الاستراتيجية واجهت الكثيـر من الجدل داخل الأوساط السياسية في واشنطن، كمـا رفـض الـديموقراطيون الموافقة على تمويل القوات العاملة في العراق بدون جدولة انسحاب هذه القوات، الأمر الذي رفضه الرئيس بوش، واسـتخدم حقـه فـي الـنقض ضـد قـرار الديموقراطيين، وقد تكون هذه الاستراتيجية آخر ورقة في أيدي الأمريكيين، وهذا ما عبر عنه المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما بقوله:-

" لقد كانت زيادة عدد القوات آخر ورقة عسكرية في أيدينا، وهـا هـي أكـذوبتنا الأخيرة توشك أن تفتضح .. دعونا لا نخدع أنفسنا إن الموقف الذي نواجهه اليوم

هو في بعض وجوهه أسوأ من الموقف الذي واجهه الرئيس نيكسون في فيتنام قبل ثلاثين عاما.... إن زيادة عدد القوات الأمريكية لن تكون ضمانة لاستراتيجية انسحاب آمن للقوات حتى لو افترضنا أنها ستنجح في خفض معدلات العنف في العراق .. هذا يعني إن علينا أن ندخل في جدل مختلف وهو جدل لا يدور حول الانسحاب عند إنجاز مهمتنا، إنما حول كيفية تخفيض قواتنا بطريقة تقلل الكلفة التي لا بد لها أن تصاحب عملية فقداننا للسيطرة " (فوكوياما، 2007، ص8).

وتكشف الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في العراق، أن الرئيس بوش لم يدرك بعد دروس غزوه للعراق، وأن حالة من التورط النفسي تعاني منها إدارته، فالعراق ليس في حاجة إلى 150 ألف جندي أميركي، كي يبقى آمنا، بقدر ما يحتاج إرادة أميركية تقوى على اتخاذ قرار الانسحاب بوصفه طوق نجاة لها وللأمن الأميركي، وهو ما يصعب تصوره في ظل اقتناع الرئيس بوش بأن حربه في العراق حرب من أجل البشرية، وليس الولايات المتحدة وحدها، فهي في تصنيفه حرب ضد البربرية، واللاإنسانيه، وهي حرب من أجل تقويض أفكار الخلافة والدولة الإسلامية في عقول المتشددين في العالم الإسلامي، ودحرها كما كان الأمر مع الأيديولوجية الشيوعية قبل عقد ونيف، فهي نظرة أيديولوجية متشددة، تسيطر على عقل الرئيس بوش وأنصاره، وتوحي لكل من يعمل معه بألا يفكر في مخرج للأزمة غير ذلك الذي يخدم هذه النظرة، ويسير في اتجاه تنفيذها (العناني، 2005).

ويبدو الآن لجميع المراقبين والمحللين أن الولايات المتحدة تمر بوقت عصيب جدا، فحكومتها بأيدي أشخاص لا يربطون الأحداث بعقلانية أو بأخلاقية، فلو كانت الإدارة المحافظة الجديدة للرئيس بوش عقلانية، لم تكن الولايات المتحدة لتغزو العراق، ولو كانت الحكومة أخلاقية، لكانت خجلت من المجازر والرعب الذي أطلقته في العراق؛ فعلى الرغم من أن إدارة بوش ذهبت نحو الحرب على أساس ادعاءات ثبت الآن إنها باطلة، يرفض الرئيس بوش ونائبه ديك تشيني الاعتراف بحدوث أخطاء (روبيرتس، 2004)، وهو الأمر الذي أوصل الولايات المتحدة إلى كارثة استراتيجية – حسب تعبير بريجينسكي :-

"الحرب على العراق كارثة استراتيجية وتاريخية شنت بناءا على ادعاءات زائفة، وهي تقوض مصداقية أمريكا في العالم والضحايا غير المباشرين من المدنيين، بالإضافة إلى حالات الإيذاء الجسدي تلطخ الأخلاقيات الأمريكية كما أنها تزيد من عدم الاستقرار في المنطقة، لكن دائرة ضيقة من الأفراد هي من يواصل اتخاذ القرارات الاستراتيجية في إدارة بوش وباستثناء وزير الدفاع الجديد روبرت غيتس، ما زال الذين ورطونا منذ البداية في هذه المغامرة الفاشلة في مواقعهم" (بريجينسكي، 2007، ص48).

لقد أصبح العراق مستنقع دم للجنود الأمريكان وحلفائهم يغوصون فيه دون مخرج، وهو يجلب للولايات المتحدة الأميركية وباقي الدول الحليفة لها في العراق، المزيد من الضحايا وخيبات الأمل بدلا من النفط والثراء، لقد ارتكبت إدارة بوش على صعيد استراتيجي الخطأ الأشد خطورة وهو خطأ الإغفال التام لمشكلات العالم الحقيقي في عمليات تحقيق الاستقرار وبناء الدولة، كما ارتكبت أخطاء كبيرة سياسية وعسكرية، خلقت الكثير من مناخ المقاومة في العراق؛ فقد مني المشروع الأميركي في الشرق الأوسط بفشل ذريع، ولم يفعل أكثر من البرهنة على مدى انفصال المحافظين الجدد عن الواقع، فلقد أحلّ الاحتلال محل دولة قوية دولة ضعيفة مستهدفة وممزقة، فالحرب على العراق يجب النظر إليها بأنها من الأخطاء الفاضحة للسياسة الخارجية الأميركية على مدى جيل على الأقل (السبعاوي، 2006).

الخاتمة: السيناريوهات المستقبلية لتأثير نظرية المحافظين الجدد على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية

لقد تبين من خلال الفصول السابقة مدى التأثير الذي تركه المحافظون الجدد، على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية، وخصوصا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، وهي الأحداث التي منحت الأجندة التي جاء بها المحافظون الجدد نوعا من الشرعية، بعد التعاطف الكبير الذي حصلت عليه الولايات المتحدة بعد تفجيرات نيويورك وواشنطن، فأصبحت لغة الانتقام هي اللغة التي تنطق بها السياسة الأمريكية، وخاصة فيما يتعلق بأفغانستان

وتنظيم القاعدة، غير أن أجندة المحافظين الجدد كانت أكبر وأوسع من ذلك؛ فقـد رأى المحافظون الجدد في أحداث 11 سبتمبر الفرصة التاريخية التي لن تتكرر – وهم بالمناسبة كانوا يعلنون أن أجندتهم تحتاج إلى "بيرل هاربر" جديدة، تمنحها شرعية الخروج إلى التطبيق الفعلي – لتحقيق الهيمنة الأمريكية وإعادة تـشكيل النظام الدولي بما يتناسب والمصالح الأمريكية وأيضا الإسرائيلية، كـون أغلبيـة المحافظين الجدد يرتبطون بعلاقات وطيدة مع حزب الليكود الإسرائيلي.

إن المحافظين الجدد وضمن هذا المسعى يؤمنون بأن أمام أمريكا فرصـة غير مسبوقة، لإعادة صياغة النظام العالمي، نابعة من حالة الفراغ التي يعـشها النظام العالمي الراهن، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وهو فراغ يجب أن تمـلأه أمريكا كما ينادي المحافظون الجدد، انطلاقا من الهوية الأمريكية ذاتها التي تؤمن بأن الأمريكيين شعب خير ديمقراطي غير استعماري، يريد مساعدة العالم القـديم على اللحاق بالعالم الجديد المتقدم الذي تمثله أمريكا. كما يؤمن المحافظون الجدد بأن الخطر الأساس الذي يهدد أمريكا حاليا هو خطر (الإرهاب)، الذي تقوم بـه جماعات مسلمة، ويتفقون على أن العالم الإسلامي عمومـا والـشرق الأوسـط خصوصا هما نقطة انطلاق أمريكا في سياستها لإعادة بنـاء النظـام العـالمي الراهن.

كما آمن المحافظون الجدد بأنهم قادرون على التدخل العسكري لإعادة بناء الدول كالعراق وأفغانستان وجعلها أنموذجا لقدرة أمريكا على التدخل، وإعـادة البناء ومساعدة الأصدقاء والتغيير. ولقد أثبتت تجربتهم في العراق فشل الفكـرة السابقة، كما ثبت أن المحافظين الجدد غير قـادرين علـى فهـم حـدود القـوة الأمريكية، وهو الأمر الذي فاقم الأزمة الاقتصادية الأميركية؛ فالعجز الأميركـي المعلن لعام 2004 وصل إلى 800 مليار دولار، في حين كان الفـائض الـذي حققته إدارة الرئيس بيل كلينتون 115 مليار دولار في العام 1999، وهو أول فائض في ميزان المدفوعات الأميركي منذ عام 1956.

علاوة على ذلك فقد واجهت الولايات المتحدة نقدا شديدا، وارتفاعا كبيـرا في نسبة مشاعر العداء ورفض النموذج الأمريكي حول العالم، نتيجة لانتهاجهـا

نهج القوة والاستعلاء في التعامل مع العالم، وهو الأمـر الـذي تحمـل تبعاتـه المحافظون الجدد كونهم هم الذين قادوا الولايات المتحدة الأمريكيـة إلـى هـذا المنزلق الخطير، لذا فان هذه الخاتمة ستقدم ثلاثة سيناريوهات لمـستقبل تـأثير هؤلاء على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية وكما يلي:-

السيناريو الأول: - يفترض استمرار تأثير المحـافظين الجـدد علـى الـسياسة الخارجية الأمريكية خلال السنوات القادمة، وذلك لعدة أسـباب، مـن أهمهـا أن الأيديولوجية التي يؤمنون بها، والتي من أهم بنودها تحقيـق الزعامـة والقيـادة الأمريكية، يؤمن بها قطاعات واسعة من الناخبين الأمريكيين، إضافة إلى إيمـان قطاعات النخبة السياسية والثقافية بها، وهو الأمر الذي يدعم موقف المحـافظين الجدد. علاوة على أن قطاعات كبيرة من الإنجيليين واليمين المسيحي يناصرون مجموعة المحافظين الجدد لاعتبارات أيديولوجية تتعلق بإسرائيل والعودة الثانيـة للمسيح، وهذا هو العامل الثاني بعد عامل النفط، الذي يعزز الاهتمام الأمريكـي بمنطقة الشرق الأوسط، لذا فان احتمال بقاء السياسة الخارجية الأمريكية كما هي أمر وارد وذلك لان الإدارة الأمـريكية الحالية قد نجـحت في توريط أي إدارة قادمة حتى لو كانت ديموقراطية، في أن تتبنى نفس التوجهات التي دشنتها إدارة بوش الابن، وهي حقيقة تؤكدها دلائل واتجاهات الرأي العام الأمريكـي الـذي اصبح يرى في المنطقة العربية بؤرة تهديد لأمنه. الأمر الثاني هو أن الولايـات المتحدة لم تعد تنظر إلى العالم العربي كشريك استراتيجي بقدر ما هـو امتـداد للأمن القومي الأمريكي، وما يتبع ذلك من انتهاك لسيادة الدول العربية، وذلك بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001(الطريفي، 2006)، فقد ترسخ في ذهنيـة الرأي العام وفي الفكر الاستراتيجي الأمريكي عموما فكرة أن الإرهاب هو العدو الأول للولايات المتحدة الأمريكية، وقد قدم المحافظون الجدد نظرية وأيديولوجية متكاملة للحرب على الإرهاب لتحقيق القيادة الأمريكيـة للعـالم، وضـمن هـذه الأيديولوجية شنت الولايات المتحدة حربين الأولى في أفغانـستان والثانيـة فـي العراق ومن الصعب أن تتراجع عنهما بسهولة (العناني، 2005).

السيناريو الثاني:- يفترض هذا السيناريو تراجع نفوذ المحافظين الجدد، وبالتالي تلاشي تأثيرهم على السياسة الخارجية الأمريكية، ويدعم هذا السيناريو التراجع الفعلي لعدد من رموز المحافظين الجدد، وخروجهم من الإدارة الأمريكية على خلفية عدد من الفضائح التي التصقت بهم؛ وقد كان أول الخارجين من الإدارة، ريتشارد بيرل المنظر الأول للحرب على العراق، وذلك بعد أسبوع فقط من بدء الحرب الأمريكية على العراق، وكان التفسير الرسمي لاستقالة بيرل تورطه بفضيحة مالية مع إحدى شركات الاتصالات. وفي مطلع عام 2005 بدأت في البروز مظاهر انهيار وسقوط الشخصية الثانية المحورية في طاقم بوش، دوغلاس فيث الذي كان وكيلا لوزارة الدفاع (البنتاغون) للشؤون السياسية، حيث قرر فيث الاستقالة، وترك منصبه قبل أن ينتهي تحقيق يقوم به مكتب التحريات الفيدرالي (الاف بي اي) حول تورط موظف يعمل في مكتبه للاشتباه بقيامه بالتجسـس لصالح إسرائيل (الطريفي، 2006)، وتلا ذلك انهيارات أخرى بخروج جون بولتون من الأمم المتحدة كسفير للولايات المتحدة الأمريكية، وخروج وزير الدفاع دونالد رامسفيلد، ثم استقالة بول وولفويتز من رئاسة البنك الدولي اثر فضيحة محاباته لصديقته شاها رضا ومنحها راتبا ضخما يتجاوز ما هو منصوص عليه.

ويدعم هذا السيناريو أيضا الوضع الحرج الذي تعيشه أمريكا في العـراق الآن، والانتقادات التي تواجهها الولايات المتحدة بسبب هذه الحرب، التـي أدت فيما أدت إليه، إلى ازدياد مشاعر العداء والكراهية تجاه أمريكا في العديـد مـن بلدان العالم، كما أدت إلى تراجع الدعم الشعبي الذي حظي به الجمهوريون بعـد أحداث 11 سبتمبر مما تسبب فـي خـسارتهم الانتخابـات النـصفية لـصالح الديموقراطيين، الذين شكلوا الأغلبية في الكونغرس بحيث بدا أن المحافظين الجدد يتراجعون بعدما فقدوا كل مصداقيتهم نتيجة لكارثة العـراق، وأخـذ الـصقور المؤيدون لإسرائيل في السياسة الخارجية الأميركية يواجهون انتقادات حادة لأنهم جروا البلاد إلى حرب على أسس احتيالية ومختلقة (سيل، 2006)، حتـى مـن

المقربين إليهم مثل المفكر فرانسيس فوكوياما الذي قال "أن ما بعد عام 2008 لن يكون عام المحافظين الجدد" (فوكوياما، 2007، ص 42).

السيناريو الثالث والأخير:- يفترض أن تأثير المحافظين الجدد على السياسة الخارجية الأمريكية، لن يستمر بنفس الوتيرة التي شهدتها رئاسة بوش الابن، وفي نفس الوقت لن يختفي تأثيرهم تماما، وذلك لاعتبارات غاية في الأهمية وهي أن المحافظين الجدد هم من طبقة عالية الثقافة، فهم أكاديميون في عدد من الجامعات ومراكز البحوث والدراسات الاستراتيجية، ولا يخفى دور هذه المراكز في صناعة السياسة الأمريكية، علاوة على انهم كتاب صحفيون على درجة عالية من الاحتراف، ولهم شرائح واسعة من القراء، فخطورتهم تكمن في أنهم كتاب ومفكرون ومثقفون أصحاب فكر متجدد وقدرة لا تنتهي على الجدل، وهذا يعني أن نفوذ المحافظين الجدد صعب التحجيم؛ فقد اقنعوا الأمريكيين بفكرة دور أمريكا الدولي المدفوع برسالة أمريكا القدرية، وأقنعوهم أيضا بأن الإرهاب هو العدو الأول، وأقنعوهم بأن النزعة التدخلية والاستباقية هي التي ستحمي المصالح الأمريكية والأمريكيين (حسين، د.ت). إضافة إلى ذلك فالمحافظون الجدد الآن يحتلون مواقع متقدمة في الحزب الجمهوري، الأمر الذي يعني انهم قد يتمكنون من التقدم ثانية إلى مواقع صنع القرار، لاعتبارات انتخابية يحددها الناخب الأمريكي.

وعلى ما يبدو، فإن السيناريو الأكثر ترجيحا **هو أن تأثير المحافظين الجدد على السياسة الخارجية الأمريكية لن يستمر بنفس القوة التي شهدتها الإدارة الأمريكية الحالية**، وبخاصة بعد سيطرة الديمقراطيين على الكونغرس وبعد إجراء الانتخابات الأمريكية الرئاسية المقبلة والتي تدلل الشواهد على أنها ديمقراطية. وفي الوقت نفسه، لن يختفي تأثير المحافظين الجدد تماما، وذلك لكونهم من الطبقات المثقفة، والأكاديميين والصحفيين المرموقين، ولكن يبقى تأثيرهم ونفوذهم تحت السيطرة، وبخاصة إذا بقي المستنقع العراقي كما هو وبقيت الإدارة الأمريكية تتخبط في سياستها الخارجية أو جاءت إدارة أمريكية ديمقراطية.

المصادر والمراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

أ- الكتب:

الحسن، يوسف،(2000)، **البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني** ط3، ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

الرمضاني، مازن اسماعيل، (1991)، **السياسة الخارجية: دراسة نظرية**، جامعة بغداد، بغداد.

سليم ، محمد السيد ، (1989)، **تحليل السياسة الخارجية**، مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية، القاهرة.

الشطي، إسماعيل،(2004)، تحديات إستراتيجية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، **العرب والعالم بعد 11 أيلول/سبتمبر**، مركز دارسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت.

الشعيبي، عماد،(2004)، الصورة النمطية للعالم والنظام العالمي في الاستراتيجية الأمريكية الجديدة وموقع العراق كساحة عمليات فيها، **ندوة احتلال العراق وتداعياته عربيا وإقليميا ودوليا**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

العيني، محسن، (2004)، التطورات الأخيرة في الولايات المتحدة وانعكاساتها العربية (حلقة نقاشية)، **العرب والعالم بعد 11 أيلول/سبتمبر**، مركز دارسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت.

المشاط، عبد المنعم،(1993)، الأولويات الأمريكية في مجال السياسة الخارجية؛ **الإدارة الأمريكية الجديدة والشرق الأوسط** ، تحرير هالة السعودي، مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية، القاهرة.

بدران، ودودة،(1993)، توجهات السياسة الخارجية الأمريكية في عهد كلينتون؛ **الإدارة الأمريكية الجديدة والشرق الأوسط** ، تحرير هالة السعودي، مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية، القاهرة.

بيلوف، اندرياس فون، (2004)، **السي آي أي ودورها في أحداث 9/11**، ترجمة سيد حسان احمد، منشأة المعارف، الإسكندرية.

جمعه، سلوى شعراوي، (1993) موقع الشرق الأوسط فـي توجهـات الـسياسة الخارجية للإدارة الجديدة، **الإدارة الأمريكية الجديـدة والـشرق الأوسـط** ، تحرير هالة السعودي، مركز البحوث والدراسات الإستراتيجية، القاهرة.

زاده، زلماي خليل،(1997)، الإستراتيجية الكبرى للولايات المتحـدة الأمريكيـة: انعكاساتها عليها وعلى العالم، " **التقييم الاستراتيجي** "، الطبعة الأولى، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي.

زلوم، عبد الحي،(2003)، **إمبراطورية الشر الجديدة،** الطبعة الأولى، المؤسـسة العربي للدراسات والنشر، بيروت.

سعيد، محمد قدري، وسعيد، عبد المـنعم،(2002)، **11سـبتمبر2001 الأفكـار والأسرار،** مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الطبعة الثانية، القاهرة.

سلطان، جمال مصطفى،(2002)، **الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسـط،** دار وائل للنشر، عمان.

فرسون، سميح،(2004)، جذور الحملة الأمريكية لمناهـضة الإرهـاب، نـدوة، **العرب والعالم بعد11 ايلول،** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

لوران، إريك،(2005)، **عالم بوش السري:الديانة والمعتقدات الأعمال والشبكات الخفية،** دار الخَيال، بيروت**.**

مسعد، نيفين عبد المنعم،**(2004)، السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الدول العربية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001،** صناعة الكراهية في العلاقـات العربية-الأمريكية**،** الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

مقلد، إسماعيل صبري، (1982)، **نظريات السياسة الدوليـة: دراسـة تحليليـة مقارنة،**ط1، جامعة الكويت، الكويت.

ميسان، تيري،(2002)، **11 أيلول 2001: الخديعة المرعبة،** ترجمة سوزان قازان ومايا سلمان، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق.

هلال، رضا،(2002) **الإمبراطورية الأمريكية،** الجزء الثالث، الطبعـة الأولـى، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

هالبر،ستيفان، وكلارك، جوناثان،(2005)، **التفرد الأمريكي:المحـافظون الجـدد والنظام العالمي**، دار الكتاب العربي، بيروت.

هارفي، ديفيد،(2004)، **الإمبريالية الجديدة** ، تعريب وليد شـحادة، دار الحـوار الثقافي، بيروت.

هدسون، ما يكل،**(2004)**، مآزق الإمبريالية: إدارة المناطق الجامحـة، **العـرب والعالم بعد 11 أيلول/سبتمبر**، الطبعة الثانية ، مركز دارسات الوحدة العربية ، بيروت.

هيكل، محمد حسنين،(2004)، **الإمبراطورية الأمريكية والإغارة علـى العـراق،** ط4، دار الشروق، القاهرة.

ب- الدوريات

أبو سريع، شاهيناز محمود،(2005)، "**مناهضة الإمبراطورية: هل تتحـول إلـى ظاهرة كونية**"، **مجلة قراءات إسـتراتيجية**، العـدد الأول، مركـز البحـوث والدراسات الإستراتيجية، القاهرة، ص41.

البكر، هدى،(2004)، "**السياسة الخارجية لرئيس ديمقراطي**"، **مجلـة قـراءات إستراتيجية** ، العدد9، مركز البحوث والدراسات الإستراتيجية، القـاهرة، ص 11

البرصان، أحمد،(2006)، "**الشرق الأوسط: إعادة للتفكيـر**"، **مجلـة الـسياسة الدولية**، عدد 163، النسخة الالكترونية متوفر عبر: www.siyassa.org.eg

البرصان، احمد سليم،(2002)، "**إيران والولايات المتحدة ومحور الشر: الـدوافع السياسية والإستراتيجية الأمريكية**"، **مجلة السياسة الدوليـة** ، عـدد 148، ص35.

السبعاوي، عوني عبد الرحمن،(2006)، "**أمريكا والحرب فـي العـراق الخطـأ الاستراتيجي**"، **مجلة الفكر السياسي**، عدد 26، متوفر عبر: www.awu-dam.org/politic/26/fkr26-007.htm

الشوربجي، منار،(2005)، "**الثابت والمتغير فـي سياسـة الولايـات المتحـدة الخارجية**"، **مجلة السياسة الدولية** ، عدد 161، ص206.

العسيلي، بسام ، (2004)، "**الإستراتيجية الأمريكية والعالم العربـي والإسـلامي**"، **مجلة كلية الملك خالد العسكرية** عدد 77تاريخ ، متوفر عبر :
http://www.kkmaq.gov.sa/Detail.asp?InNewsItemID=142400

العزي، سويم،(2003)، "**الإستراتيجية الأمريكية: التناقض الكامن**"، **مجلة شـؤون الأوسط**، عدد 110، ص34.

العناني، خليل،(2005)، "**السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العالم العربي: رؤيـة مستقبلية**"، **مجلة شؤون عربية**، العدد 123، ص73.

المصري، شفيق، (2003)، "**الحرب على العراق وعلى القـانون الـدولي**"، **مجلـة شؤون الاوسط**، عدد 111، ص55.

المجموعة الدولية للأزمات، (2005)، "**ماذا بإمكان الولايات المتحدة أن تفعل فـي العراق**"، **مجلة المستقبل العربي**، عدد 312، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص24.

النصراوي، صلاح،(2005)، "**العراق في الاستراتيجية الأمريكية..أي مـشروع للدولة الجديدة؟**"، **مجلة السياسة الدولية**، عدد 162، ص54.

الهزاط، محمد، (2005)، "**إستراتيجية الحـرب الإسـتباقية الأمريكيـة: الجـذور والأهداف**"، **مجلة شؤون عربية**، عدد 123، ص84.

بولك، وليام، (2005)، "**الواقع والخيارات في حرب العـراق**"، **مجلـة المـستقبل العربي**، عدد 311، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ص10.

برينو ترتريه،(2005)، "**أربعة أعوام لتغيير العـالم إسـتراتيجية بـوش 2005-2008**"، ترجمة قاسم المقداد، **مجلة الفكر الـسياسي**، العـدد 21 ، دمـشق، ص34.

تقرير مؤسسة ستراتفور،(2003)، "**العراق عملاق الطاقة الذي نام طويل**"، **مجلـة المستقبل العربي**، عدد 298، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص69.

تشومسكي، نعوم،(2003)، "**الحرب الوقائية أو الجريمة المطلقة، العراق: الغـزو الذي سيلازمه العار**"، **مجلة المستقبل العربي** ، عدد 297، مركز دراسـات الوحدة العربية، بيروت، ص40.

ثابت، احمد، (2005)، "**النزعة الإمبراطورية الأمريكية وإعـادة هيكلـة الـوطن العربي**"، **مجلة شؤون عربية**، عدد 123، ص68.

حسيب، خير الدين،(2004)، "**المشاهد المستقبلية المحتملة في العـراق**"، **مجلـة المستقبل العربي**، عدد 307، مركز دراسـات الوحـدة العربيـة، بيـروت، ص13.

حماد، رباب،(2005)، "**أوهام الإمبراطورية: تعريف النظام الأمريكي الجديد**"، **مجلة قراءات إستراتيجية**، العدد الأول، مركز البحوث والدراسـات الإسـتراتيجية، القاهرة، ص31.

حيدر، محمود، (2005) "**الفلـسفة الـسياسية للمحـافظين الأميـركيين الجـدد: أيديولوجية الفوضى الخلاّقة**"، **مجلة الدفاع الوطني اللبنانية**، بيروت، ص45.

"**رسالة مفتوحة إلى الشعب الأمريكي**"،(2004)، **مجلة المستقبل العربي** ، عـدد 309، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص141.

"**رسالة مفتوحة من المؤتمر القومي العربي إلى زعماء العالم وأعضاء الكونغرس الأمريكي ومجلس العموم البريطـاني والـرأي العـام**"، (2004)، **مجلـة المستقبل العربي**، عدد 309، مركز دراسـات الوحـدة العربيـة، بيـروت، ص118.

زكريا، باسم،(2004)، "**التحالف الأمريكي الإسرائيلي ثلاثيـة العقـدة والعقيـدة والمنفعة:دراسة تأصيلية تحليلية ناقدة**"، **مجلة الفكر السياسي**، العـدد 20، ، متوفر عبر:www.awu-dam.org/politic/20/fkr/200009/htm

سعيد، كرم،(2004)، "**رئاسة بوش وجمهور الناخبين الأمريكيين**"، **مجلة قراءات إستراتيجية**، العدد6، مركز البحـوث والدراسـات الإسـتراتيجية، القـاهرة، ص13.

سلامة، معتز،(2006)، " **الأمن القومي الأمريكي: التحولات الجديدة في ظل إدارة بـوش الثانيـة**"، **مجلـة كراسـات إسـتراتيجية**، العـدد 162، متـوفر عبر: http/www.ahram.org.eg/acpss/ahram.htm

شلق، الفضل،(**2003**)، "**العدوان على العالم: إدارة بوش والمحافظون الجدد**"، **مجلة شؤون الأوسط** ، عدد 111، ص 29.

عاروري، نصير،(2003)، "**حروب جورج دبليو بوش الوقائيـة بـين مركزيـة الخوف وعولمة إرهاب الدولة**"، **مجلة المستقبل العربي**، عـدد 297، مركـز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص20.

عبد الجواد، جمال،(2002)، "**السياسة الأمريكية تجاه العراق:تشدد يميني وهوس أمني**"، **مجلة السياسة الدولية**، عدد 150، ص84.

عبد الرحمن، شاكر، (1997)**،** "**الصهيونية بدأت بإهانة اليهودية**"**، مجلة العربـي**، عدد468، الكويت، ص87.

عبد الشافي، عصام،(2005)، "**السياسة الخارجية الأمريكية: قضايا وإشـكاليات**"، **مجلة السياسة الدولية**، عدد160، ص155.

عبد العظيم، احمد فاروق،(2004)**،** "**سياسة القوة في المشروع الأمريكي للنظـام العالمي**"**، مجلة السياسة الدولية** ، عدد 158**،** ص30**.**

غزال، خالد،(2005)، "**السياسة الامبريالية الأمريكية: العدوانيـة الكاملـة علـى شعوب العالم**"، **مجلة شؤون الأوسط**، عدد 120، ص113.

غولوب، فيليب،(2007)، "**تحولات السياسة الإمبراطورية**"، **مجلة المقالـة**، عـدد 16، مؤسسة المقالة للصحافة، عمان، ص40.

كلاين، نعومي، (2004)، "**بغداد السنة صفر: نهب العراق سـعيا إلـى يوتوبيـا المحافظين الجدد**"، **مجلة المستقبل العربي**، عدد 308، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص32.

كلارك، رامزي،(2004)، "**رسالة إلى كوفي انان الأمين العام للأمـم المتحـدة**"، **مجلة المستقبل العربي**، عدد 301، مركز دراسات الوحدة العربية، بيـروت، ص 132.

كمال، محمد**،**(2005)، "**الفكر المحافظ والسياسة الخارجية لادارة بوش الثانيـة** " **،مجلة السياسة الدولية** ، العدد 159، ص39.

مبيضين، مخلد وتيم، فوزي،(2004)، "**الصهيونية المـسيحية:نـشأتها، جـذورها منطلقاتها، والعلاقة الأمريكية الإسرائيلية**"، **مجلة النهضة**،عدد 21، القـاهرة، ص31.

معتز سلامة،(2006)، "**الأمن القومي الأمريكي التحولات الجديدة في ظـل إدارة بوش الثانية**"، **مجلـة كراسـات إسـتراتيجية** العـدد 162 ، متـوفر عبـر http://www.ahram.org.eg/acpss/htm/security.htm

معلوم، حسين، (2002)، "**الإستراتيجية الأمريكية في وسط آسيا: الواقع والآفاق**"، **مجلة السياسة الدولية**، العدد 147، ص86.

هدسون، مايكل، 2003، "**سيناريوهات سياسية لعراق ما بعد الاحـتلال**"، **مجلـة المستقبل العربي**، عدد 298، مركز دراسـات الوحـدة العربيـة، بيـروت، ص80.

ياسين، صباح،(2004)، "**تفكيك البنى الحزبية العراقيـة فـي إطـار المـشروع الأمريكي**"، **مجلة المستقبل العربي**، عـدد 300، مركـز دراسـات الوحـدة العربية، بيروت، ص24.

ج- الصحف

إدريس، محمد السعيد**،**(2004)، "**الصهيونية المسيحية: انحـراف سياسـي تحـت عباءة دينية واسرئيل هي المستفيد الوحيد"،** صحيفة الأهرام المصرية**،** عـدد 43013، ص16.

الخنيـزي، نجيب، (2006")، **المحافظون الجدد .. الإمبراطوريـة علـى منحـدر خطر**"،صحيفة عكاظ ، عدد 1964، ص 26.

السيد، محمود وهيب،(2005)، " **تطبيق اسـتراتيجية الفوضـى البنـاءة يتطلـب تعديلات جوهرية "،** صحيفة الحياة ، متوفر عبر www.alhayat.com

العناني، خليل**،**(2005)، "**بوش واستحضار العقدة الفيتنامية.. إستراتيجية للنـصر بمذاق الهزيمة"،** الحياة، متوفر عبرwww.alhayat.com

بريجينسكي، زبغنيو، "**الخطوات التالية للسياسة الأمريكية في العـراق**"، صـحيفة العرب اليوم، 2006/4/7، العدد 3213، ص6.

بريجنسكي، زبغنيو، "**خريطة طريق للخروج من العـراق**" ، صـحيفة الدسـتور، 2007، العدد 14811، ص48.

بول كريغ روبيرتس، "**هل يعرف أحدكم ماذا نفعل في العراق**؟"، الدستور الأردنيـة 2005/9/1، العدد 13693، ص30.

بول كريغ روبيرتس، "**ليس هناك من يردع المحافظين الجـدد**"، الغـد الأردنيـة، ،2004/12/28، العدد 150، ص أ23.

بول هاريس و بيتر بومنت،**ماذا بعد تقرير بيكر هاملتون،** ترجمة أمل الشر يقـي، صحيفة العرب اليوم 2006/12/14، العدد 3471، ص10.

بيكر وهاملتون، "**النص الكامل لتوصيات لجنة بيكر-هـاملتون**"، صـحيفة الـرأي 2006/12/8، العدد 13219، ص21.

بيومي، علاء، "**كيف يفكر المحافظون الجـدد**"، صحيفة الإعلام البـديل الاردنيـة، 2005/8/7، عدد 42، ص13.

بيوكانان، باتريك، "**جـيش محطـم..إمبراطوريـة محطمـة"،** صـحيفة الدسـتور 2006/12/23، العدد 15315، ص 42.

جلال، محمد، "**الفكر السياسي الأمريكي**"، المنبر الديموقراطي التقدمي، متوفر عبر www.almenber.com/viewarticle.asp?id=1081

حسين، خليل، "**إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية وأسباب اخفاقاتها**"، صحيفة العرب اليوم 2006/6/22، العدد 3299، ص9.

درغام، راغدة، "**دور المحافظين الجدد في صفقة إعدام صدام**"، صـحيفة الـرأي الأردنية 2007/1/6، العدد 13245، ص14.

دونالد رامسفيلد، "**نمط جديد من الحرب**"، صحيفة الشرق الأوسط 29 /11/ 2001، العدد 8402، متوفر عبر www.asharqalawsat.com

رجب، سميرة، "**صعود دولة الشيعة النفطية**"، صـحيفة المحـرر 2004/11/6، متوفر عبر www.almoharer.net/moh201.html

سامت، جدعون، "**اسرلة أمريكا وامركة إسـرائيل**"، صـحيفة الدسـتور الأردنيـة 2006، العدد 15315، ص42.

شير، روبرت، "**خيانة تينت**"، صحيفة الدستور الأردنية، 2007، العدد 15450، ص52.

عبد الحي زلوم، "**الذروة النفطية سبب اندفاع بوش المفـاجئ لاحـتلال العـراق**"، الدستور الأردنية 2005/5/16، العدد 13586، ص36.

فوكوياما، فرانسيس، "**الوضع في العراق أسوا مما كان عليه في فيتنام**"، صـحيفة العرب اليوم 2007/5/7، العدد 3612، ص8.

فوكوياما، فرانسيس، "**ما بعد المحافظية الجديدة**"، الاعـلام البـديل، 2005/5/10، العدد 31، ص9.

كافياسكا، غييرمو، "**اغتيال صدام حـسين**"، صحيفة العرب اليـوم، 2007، العـدد 3612، ص8.

كالينيكوس،أليكس، "**الإستراتيجية الجديدة للامبريالية الأمريكية**"، صحيفة المناضـلة 2004/9/15، متوفر عبر www.almounadil-a.info/article102.html

كرستيان ساينس مونيتور، 2005/5/3، ص 3، متوفر عبر: www.csmonitor.com/2005/dailyUpdate.html

محرر الشؤون العربية، الدستور، تحليل سياسي ، 2005، العدد 13526، ص21.

محمد عبد العزيز ربيع، "**الإستراتيجية الأمريكية في ضـوء الحـرب العراقيـة**"، الدستور الأردنية، 2005/3/15، العدد13526، ص21.

مرقص، سمير، "**هيمنة الأصولية البروتستانتية على السياسة الأمريكيـة**"، عـن صحيفة النهار، 2002، متوفر عبر www.maaber50meg.com

نافعة، حسن، "**المسكوت عنه فـي تقريـر بيكـر وهـاملتون**"، صـحيفة الـرأي 2006/12/14، العدد 13225، ص39.

هاس، ريتشارد، "**أكبر هزيمة إستراتيجية لأمريكا**"، صحيفة الرأي 2006/12/14، العدد 13225، ص39.

وردم ، باتر محمد، إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي .. معقولة علـى الـورق، الدستور 2006/10/9، العدد 15220، ص14.

صحيفة الرأي الأردنية، "**الأمريكيون يؤيدون تطبيق توصيات تقرير بيكر هاملتون**"، 2006، العدد 13225، ص27.

د- الروابط الإلكترونية

التقرير الاستراتيجي العربي (2002-2003)، السياسة الأمريكية تحت سطوة اليمين الديني والسياسي، مركـز الأهـرام للدارسـات الـسياسية والإسـتراتيجية، القاهرة، www.acpss.ahram.org.eg/ahram/r2ab29.htm

التقرير الاستراتيجي العربي،(2003)، الأزمة العراقية تهيمن على تفاعلات النظام الدولي، مركز الأهـرام للدراسـات الـسياسية والإسـتراتيجية، القـاهرة. www.acpss.ahram.org.eg/ahram/r2ab29.htm

التلحمي، شبلي،(2002)، "**السياسة الخارجية للولايات المتحدة قبل و بعد أحـداث الحادي عشر من أيلول**"، محاضرة في مكتبة الأسد، ، متوفر عبر http://www.mostakbaliat.com/telhami.html

الموســـــوعة الحـــــــرة ، (2007)، متـــــــوفر عبـــــــر http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8

النابلسي، شاكر، (2004)، "**المحافظون الجدد والليبراليون الجـدد بـين الواقـع ومهاترات الغوغاء**"، متوفر عبر: http/www.rezgar.com/debat/show

أولدفيد، دوان، "**الجذور الإنجيلية للأحادية الأمريكية واليمـين المـسيحي وكيفيـة مواجهته**"، متوفر عبر : www.asharqalarabi.org.uk/markaz/m_mutabaat-s-k/htm

بارنيت، توماس، (2005)، "**خريطة البنتاغون الجديدة: الحرب والسلام في القرن الواحد والعشرين**"، متوفر عبر www.ala7rar.net/navagator.php

باكير، علي حسين، (2004)، "**الانتخابات الرئاسـية الأمريكيـة: جـون كيـري والديموقراطيون الجدد**"، متوفر عبر : http/www.alasr.ws/index.cfm

بشارة، جـواد، (2005)، "**العـراق وأمريكـا وحافـة الهاويـة**"، متـوفر عبـر www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=43117

بشارة، جواد،(2007)، "**أمريكا والعراق: الكيان الممقوت والكيان المكبوت**"، متوفر عبر http://www.elaph.com/ElaphWeb/AsdaElaph/2007/4/223628.htm

تشومسكي، نعوم، (2003)، "**حرب الإرهاب تتحدى الإمبراطورية**"، متـوفر عبـر www.kefaya.org/translation/0302chomsky 2003.htm

جرجور، رياض، (2003)، "**المـسيحية الـصهيونية:صهيوم ـسيحية أم صـهيو أمريكية**؟"، مركز الإمام الخميني، بيروت، متوفر عبر: www.filep.2.htm

حسين، خليل ،(2005)، "**الإستراتيجية الإمبراطورية في وثيقة الأمـن القـومي الأمريكي**"، ، متوفر عبر: http://www.arabgate.com/more/953/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%

حنا، الياس، (2006)، "**مأسسة عقيدة بوش**"**،** متوفر عبر: http://www.aljazeera.net/NR/exeres/AFD9C8D1-CEEF-435F-861A-E78372E0F2A7.htm

رؤوف، هبـه، (2003)، "**المحـافظون.. مـن رؤى المجتمـع إلـى العولمـة والامبرياليـــــــــــة**"، متـــــــــــوفر عبـــــــــــر: www.islamonline.net/arabic/mafaheem/2003.

زانويان، فاهان، (2004)، "**آن الآوان لقرارات تاريخية في منطقة الخليج**"، متوفر عبر : www.gulfissues.net/mpage/derasat/kuwaituni01.htm

سليمان، عمرو، "**تبني إدارة بوش لنبوءة هيرمجـدون وضـع حلفـاء واشـنطن بالمنطقة في مأزق حرج**"، شبكة المعلومات العربية محـيط، متـوفر عبـر: www.us.moheet.com/asp/report/americanright.htm

شتاينبييرغ، جيفري،(2003)، "**الشتراوسيون وراء حـرب بـوش المـدمرة فـي العراق**"، متوفر عبر www.nysol.se/arabic

شـبكة المعلومـات الفلـسطينية، (2005)، التحليـل الـسياسي، متـوفر عبـر www.palastine-info.info/arabic/analysis/2005_20_11_05.htm

عماد، عبد الغني، (2002)، "**الإمبراطورية القلقة وإشكالية الهيمنـة الأمريكيـة**"، "شبكة الانترنت للإعلام العربي"، متوفر عبر: www.amin.org/views/uncat/2002/dec31.html .

عماد، عبد الغني، (2004)، "**دبابات الفكر الجديدة:صانعو القرار والحكومة الخفية في أمريكا**"، متوفر عبر http://www.kefaya.org/Translations/0402emad.htm

فواز، حسين، (2004)،"**تساؤلات حول اليمين الجديد في الولايات المتحدة**"، متوفر عبر www.mafhoum.com/press7/190c39.htm

لورانس كابلان ووليام كريستول،(2003)، "**الحرب على العراق: طغيـان صـدام ورسـالة أميركـا**" : The War over Iraq: Saddams Tyranny and America's Mission" " انكاونتر، سان فرانسسكو، متوفر عبر www.encounterbooks.com/books/waroveriraq/?excerpt - 22k

محمود، خالد، (2003)، "**المحافظون الجدد يختطفون الديمقراطي الأمريكي**"، الملف السياسي، العدد 651، متوفر عبر651 www.albayan.co.ae/issue .

مصطفى، ناديا، (2002)، "**11سـبتمبر والتحـولات فـي الـسياسة الخارجيـة الأمريكيـة**"، متـوفر عبر: www.islamonline.net/arabic/politics/2002/09/shtm

منيسي، أحمد، (2002)، "**الإستراتيـجية الأمريكية نزوع إمبراطـوري ينـذر بفوضـى دولية**"، متوفر عبر www.islamonline.net/arabic/politics/2002/10/shtm

نافعة، حسن، (2007)، "**تأملات في الذكرى الرابعة لاحتلال العراق**"، متوفر عبـر www.arabrenewal.org/articles/2922/04/18/2007

ياسر، صالح،(2005)، "**ملاحظات مكثفة حول نظرية الفوضى البناءة**"، متوفر عبر: http://www.iraqcp.org/members3/0050816molahthat.htm

ثانياً:المراجع باللغة الإنجليزية

Bbc, Iraq war illegal, says Annan, 2004, Available on: http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/3661134.stm

Dr David Kay's Testimony to the Senate Armed ServicesCommittee January 28, 2004 . Available on: http://www.globalresearch.ca/articles/KAY401A.html

Francis Fukuyama, "The Bush Doctrine, Before and After", **Financial Time,** October 11, 2005.

http://www.sais-jhu.edu/insider/pdf/2005_articles/fukuyama_ft_101105.pdf

Halper, Stefan, Clarke, Jonathan, 2004, "Neoconservatism Is Not Reaganism", **American Spectator**, Vol. 37, Issue 3, p20.

John Lewis Gaddis, 2005, "Grand Strategy in the Second Term", Foreign Affairs, January/ February. Available on: http://www.foreignaffairs.org/20050101faessay84101/john-lewis-gaddis/grand-strategy-in-the-second-term.html

Lawrence J. and Robert O. Boorstin, 2005, Integrated Power, A National Security Strategy for The 21st Century, Center for American Progress,. Available on: http://www.americanprogress.org/atf/cf/%7BE9245FE4-9A2B-43C7-A521-5D6FF2E06E03%7D/INTEGRATED_POWER.PDF

King, John, 2002, Bush calls Saddam 'the guy who tried to kill my dad', Available on: http://archives.cnn.com/2002/ALLPOLITICS/09/27/bush.war.talk/

Kosterlitz, Julie, 17/5/2003, The Neoconservative Moment, **National Journal**, Vol.35, Issue 20,.

Neoconservatism: Available on: www.en.wikipedia.org/wiki/Neoconservatism_(United_States)

Newamericancentury1, 1998, letter to Clinton, Available on: www.newamericancentury.org/iraqclintonletter.htm

Newamericancentury2, 1998, letter to Gingrich and lott on Iraq, Available on: www.newamericancentury.org/iraqletter1998.htm

Newamericancentury, 2001, Bush letter, Available on: www.newamericancentury.org/bushletter.htm

O'Neill, Brendan, 2002, 'A link between Saddam and bin Laden? No way, Available on: http://www.spiked-online.com/Articles/00000006D9F9.htm

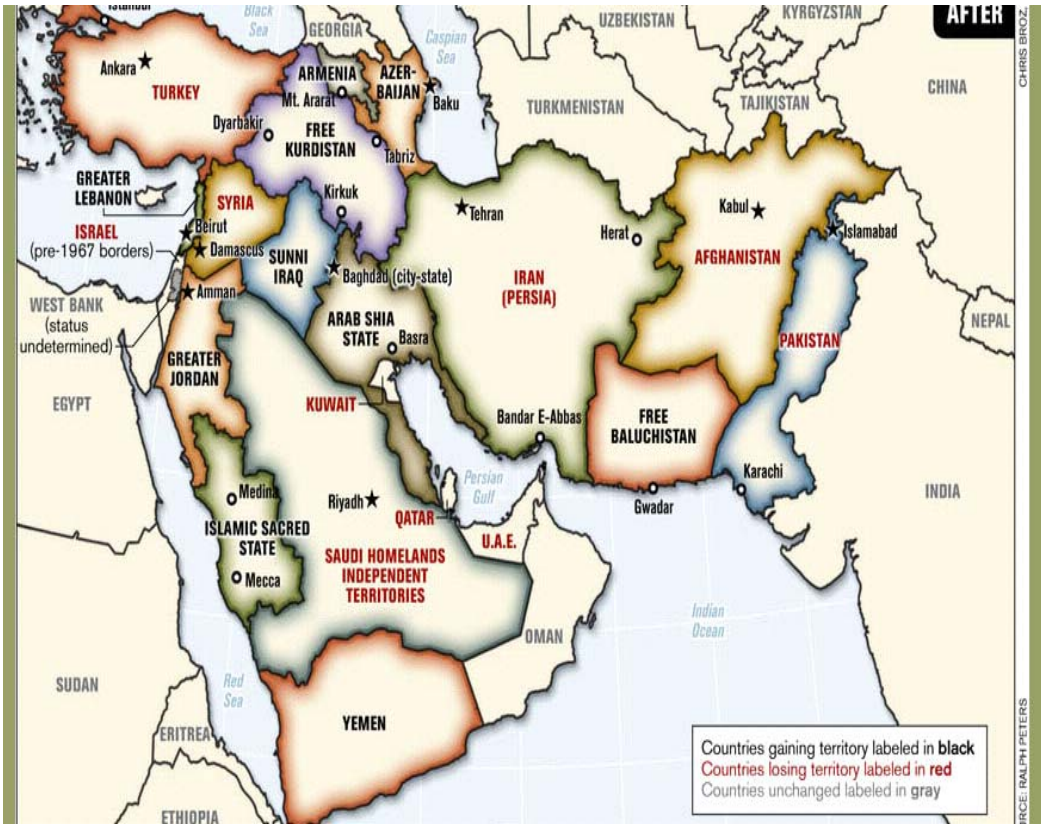
Palmer, Alasdair, 2005, Regime change is illegal: end of debate, Available on: http://www.telegraph.co.uk/opinion/main.jhtml?xml=/opinion/2005/05/01/do0101.xm
Paul, James A. 2002 ," Iraq: the Struggle for Oil ",Available on: http://www.globalpolicy.org/security/oil/2002/08jim.htm
Ralph Peters, Blood Borders, Armed Forces Journal, July 2006, Available on: www.armedforcesjournal.com/2006/06/1833899 Internet
Robin Wright, "Iraq Occupation Erodes Bush Doctrine", Washington Post Staff Writer, Monday, June 28, 2004. Available on: http://www.washingtonpost.com/ac2/wp-dyn/A10539-2004Jun27?language=printer
Rumsfeld,Donald,Transforming the Military, Foreign Affairs, Vol.81 , No. 3,may 2002 Available on: http://web.ebscohost.com/ehost/detail?vid=5&hid=19&sid=6f0dafc7-afa0-4651-909c-d46a2cb93784%40sessionmgr7
Statement Of Principles, New American Century, 1997. Available on: www.newamericancentury.org/statement
Smith, Charles, The Do More Chorus in Washington,2002 Available on: http//www.merip.org/mero/mero-41502.htm
William A. Galston, **Why First Strike Will Surely Backfire**, Washington post, 16/6/2002.
Wolfson, Adam, Conservatives and Neoconservatives, **Public Interest**, 2004, Issue 154
Vernon, Brian, "Saddam and the Euro", 2004, Available on: http://www.indymedia.ie/newswire.php?story_id=67850
Ydstie, John, Halliburton's Role in Iraq Questioned, 2003, Available on: http://www.npr.org/templates/story/story.php?storyId=1254721
Zalmay M. Khalilzad, From Containment to Global Leadership: **America and the World after the Cold War** (Santa Monica, CA:Rand Corporation, 1995).

الملحق (أ)

خريطة الشرق الأوسط حسب تصورات المحافظين الجدد

الملحق (أ)

خريطة الشرق الأوسط حسب تصورات المحافظين الجدد



الخريطـة المقترحـة - المـصدر -http://ccablog.blogspot.com/2006/09/redrawing-middle-east-map.html